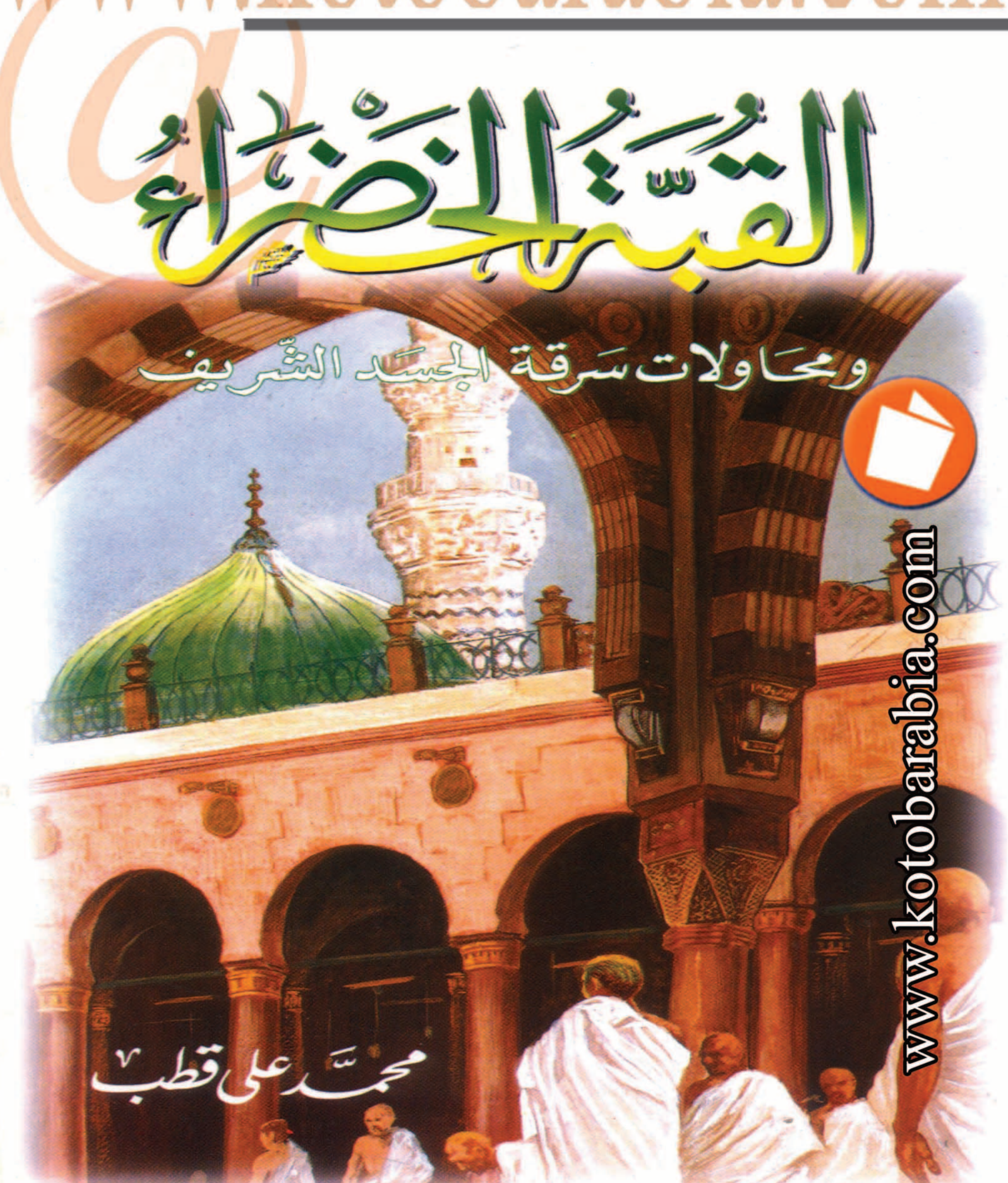
القبة الخضراء

ومحاولات سرقة الجسد الشريف



محمد علي قطب

الدار الثقافية للنشر

القبـة الخضراء

محمد علي قطب

فهرس



إن الحمد لله، نحمده تعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكشف الغُمة، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يضل عنها إلا زائغ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فعند قراءتى لكتاب (تاريخ المسجد النبوى) لمؤلفه العالم الفاضل محمد إلياس عبد الغنى[1] وما حشد فيه من معلومات وآثار ومأثورات، وما بذل فيه من جهد مشكور، توقفت معه عند الحجرة النبوية الشريفة، وما لحقها عبر التاريخ من أدوار، سواء فى الرعاية أو الترميم أو الحفاظ على قدسيتها، وما بذله المخلصون فى سبيل ذلك، وعلى مختلف المستويات؛ وما تعرض له القبر الشريف من محاولات النبش والسرقة عبر التاريخ – وكلها باءت بالفشل – تصديقًا لقوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧].

وددت أن أتوسع فى ذلك خدمة لأجيالنا وأبنائنا والمسلمين عامة، وزيادة فى اكتساب المعرفة، مع إيضاحات رجعت إليها فى أمهات الكتب المأثورة المعتمدة كمراجع، سليمة من الدس والهوى.

---

(١) صدر عام ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٦م .

مضيفا إلى ذلك ما عاينته بنفسى من توسعات فى الحرم النبوى الشريف فى العصر الحاضر، سائلا المولى - عز وجل - أن يبارك الأيدى التى خططت وبذلت وعملت، ويثيبها أجزل الثواب وأكرمه.

راجيًا من الله تعالى أن أكون قد وفقت إلى ذلك، وحسن القبول، والحمد لله رب العالمين.

صيدا – غرة رمضان المبارك ١٤١٨هـ

الموافق ١٩٩٧/١٢/٣١

محمد على قطب

والله يعصمك من الناس

لم يتوقف أمر العصمة من الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ، أكرم أنبيائه وخاتم رسله عند حدود حفظه فى قبره الشريف لا تصل إليه أيدى الكفار والمشركين والمنافقين، والحاقدين على الإسلام . . .، بل كانت العصمة الربانية نحو طه ﷺ طيلة حياته؛ فلقد كانت هناك محاولات كثيرة وجمة اضطلع بالدور فيها والتطوع لها كثيرون ممن أعمى الله تعالى أبصارهم وبصائرهم عن نور الحق والهدى، بعضها فشل، وارتد أذاه إلى ذاته فكان من الهالكين فى الدنيا والآخرة، وبعضها انقلب بنعمة من الله وفضل إلى هداية وإسلام.

أولها: قصة الإراشى[١]:

قدم رجل من (إراش) بإبل له مكة فابتاعها منه أبو جهل، فماطله بأثمانها، فأقبل الإراشى حتى وقف على ناد[٢] من قريش ورسول الله ﷺ فى ناحية المسجد جالس. فقال: يا معشر قريش، مَن رجلٌ، يؤدِّينى على أبى الحكم بن هشام[١]؛ فإنى رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبنى على حقى؟

فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس؟ — يعنون رسول الله ﷺ، وهم يهزءون به؛ لما يعلمون ما بين رسول الله ﷺ وأبى جهل من العداوة - اذهب إليه؛ فإنه يؤديك عليه!

---

[١] الإراشى: نسبة إ إراش بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان من سبأ. (السـ ة النبوية) لابن هشام، ج ١، ص ٣٨٩، ط ١٩٥٥م.

[٢] نادٍ: اعة من الناس .

(١) كان ا ه (عمرو)، ولقبه عند قريش (أبو ا كم)، و اه النـ ﷺ بأ جهل .

فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا عبدالله، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله، وأنا رجل غريب، فأشاروا لى إليك، فخذ لى حقى منه، يرحمك الله.

فقال: انطلق إليه. وقام معه.

فلما رأوه قام معه، قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ما يصنع؟

وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه — أى أبا جهل — فضرب عليه بابه.

فقال: من هذا؟!

قال: محمد. فاخرج إلىّ.

فخرج إليه، وما فى وجهه من رائحة[٢]، قد انتقع لونه.

فقال ﷺ: أعط هذا الرجل حقه.

قال: نعم. لا تبرح حتى أعطيه الذى له.

---

(٢) من رائحة: بقية روح.

فدخل، وخرج إليه بحقه، فدفعه إليه.

ثم انصرف رسول الله ﷺ، وقال للإراشى: اِلحقْ بشأنك.

فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيرًا؛ فقد — والله — أخذ لى حقى.

وجاء الرجل الذى بعثوا معه، فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟

قال: عجبًا من العجب! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه..، فقال له: أعط هذا الرجل حقه. فقال: نعم، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه. فدخل فخرج إليه بحقه، فأعطاه إياه.

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك؟ ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط.

قال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب على بابى، وسمعت صوته، فمُلئت رُعبًا، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لَفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته ولا قصرته[1] ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيتُ لأكلنى.

وثانيها: قصة الشيخ النجدى (إبليس)[1]:

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم[2]، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا، وأصابوا منهم منعة، فحذِروا خروج رسول الله ﷺ.

---

(١) القصرة: أصل العنق.

(١) ابن هشام، عن ابن اسحاق، ص – ٤٨٠.

(٢) أى: (الأنصار) – (الأوس والخزرج) – من أهل يثرب.

فاجتمعوا له فى دار الندوة — وهى دار قُصَىّ بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرًا إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.

لمّا أجمعوا لذلك، واتعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة؛ ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله ﷺ غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى (يوم الرحمة)، فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ جليل، عليه بتلة[٣]، فوقف على باب الدار. فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا: من الشيخ؟! قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون.

قالوا: أجل، فادخل. فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش من بنى عبد شمس: عتبه بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والحارث بن عامر بن نوفل.

---

(٣) البتلة: الكساء الغليظ.

ومن بنى عبد الدار: النضر بن الحارث. ومن بنى أسد بن عبد العزى: أبو البَخترى بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب وحكيم بن حزام. ومن بنى مخزوم: أبو جهل بن هشام. ومن بنى سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج، ومن بنى جمح: أمية بن خلف. ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش.

فقال بعضهم لبعض:

إن هذا الرجل - رسول الله ﷺ — قد كان أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيًا، فتشاوَروا، ثم قال قائل فيهم: احبسوه فى الحديد، وأغلقوا عليه بابًا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيرًا والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم.

فقال الشيخ النجدى: لا والله، ما هذا لكم برأى، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرُجنَّ أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم. ما هذا لكم برأى؛ فانظروا فى غيره.

فتشاوروا ... ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا، فوالله ما نبالى أين ذهب. ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا.

قال الشيخ النجدى: لا والله ما هذا لكم برأى. ألم تروا حُسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به؟! والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه، حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم فى بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد. رُوا فيه رأيًا غير هذا.

فقال أبو جهل بن هشام:

أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًّا جليدًا[١] نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجلٍ واحد، فيقتلوه، فنستريح منه؛ فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعًا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضُوا منا بالعقل[٢] فعقلناه لهم.

فقال الشيخ النجدى (إبليس):

القول ما قال الرجل، هذا الرأى الذى لا أرى غيره.

فتفرق القوم على ذلك وهم مجمِعون عليه.

---

(١) و روایة: جلدا، و ا ء واحد. والوسيط: الشريف.
(٢) العقْلُ: الدية.

فأتى جبريلُ — عليه السلام — رسولَ الله ﷺ، فقال: لا تبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه.

فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه.

فلما رأى رسول الله ﷺ مكانَهم قال لعلى بن أبى طالب: نم على فراشى وتسجَّ[1] ببُردى الحضرمىِّ الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم.

وكان رسول الله ﷺ ينام فى برده ذلك إذا نام.

فلما اجتمعوا له وفيهم أبوجهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمدًا يزعم أنكم إذا تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من

---

(١) تسجى: تغطى ح وجهه.

بعد موتكم، فجعلت لكم جنان الأردُنِّ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نارٌ، تحرقون فيها.

وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من ترابٍ فى يده، ثم قال: أنا أقول ذلك. أنت أحدهم.

وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونه. فجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات من (يس): ﴿يس* والقرآن الحكيم* إنك لمن المرسلين* على صراط مستقيم* تنزيل العزيز الرحيم.. ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾.

حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب(١).

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال:

---

(١) قصد عليه الصلاة والسلام إ دار أ بكر رضى ا عنه.

- ما تنظرون ها هنا؟

- قالوا: محمدًا . . .!

- قال: خيبكم الله! قد — والله - خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته . . . أفما ترون ما بكم؟!

فوضع كل رجلٍ منهم يده على رأسه، فإذا عليه تُراب..، ثم جعلوا ينطلقون فيرون عليًّا على الفراش متسجيًا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون:

- والله إن هذا لمحمد نائمًا، عليه بُرده!

فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام على — رضى الله عنه — عن الفراش، فقالوا:

- والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا..!

وثالثها:

لما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر بن أبى قحافة، فخرجا من خوخةٍ[1] لأبى بكر فى ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار ثور — جبل بأسفل مكة - فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله ابن أبى بكر أن يتسمع لما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة (مولاه) أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما، يأتيهما إذا أمسى فى الغار.

وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما.

فأقام رسول الله ﷺ فى الغار ثلاثًا ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم ا. هـ.

---

(١) الباب الصغ   الباب الكبـ .

وجدوا فى الطلب، وتتبَّعوا الأثر، حتى بلغوا باب الغار، ورأوا عند باب الغار نسج العنكبوت، وشجيرة قد اتخذت فيه يمامتان عشًّا لهما.

وسُمع وقع حوافر خيولهم؛ فأحس أبو بكر بالخوف، لا على نفسه، ولكن على رسول الله ﷺ، فقال: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ...!

فقال ﷺ: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟! لا تحزن إن الله معنا.

﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنودٍ لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العُليا﴾.

وقال بعض المشركين لبعض: إن هذا الغار بما عليه من العنكبوت وغيره أقدم من ميلاد محمد! ثم انصرفوا. وحفظ الله نبيه ﷺ.

ورابعها:

عن سراقة بن مالك بن جعشم قال:

لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة وقد جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم، فبينا أنا جالس فى نادى قومى إذ أقبل رجل منا، حتى وقف علينا فقال: والله لقد رأيت ركَبة ثلاثة مروا على آنفًا، إنى لأراهم محمدًا وأصحابه. فأومأت إليه بعينى: أن اسكت. ثم قلت: إنهم بنو فلان يبتغون ضالة لهم. فقال صاحبى: لعله! ثم سكت.

ثم مكثت قليلاً، ثم قمت فدخلت بيتى، ثم أمرت بفرسى، فقيِّد إلى بطن الوادى، وأمرت بسلاحى، فأخرج لى من دبر حجرتى، ثم أخذت قداحى[1] التى أستقسم بها، ثم انطلقت فلبست لأمتى[2]، وأخرجت قداحى، فاستقسمت

---

(١) القداح: سهام ليست ذات نصل، مكتوب على أحدها: افعل، والثا : لا تفعـل، وليس على الثالث شىء.

(٢) لأم : درعى.

بها[٣]، فخرج السهم الذى أكره (لا يضره). وكنت أرجو أن أرده ﷺ على قريش، فآخذ المائة ناقة.

فركبت على أثره، فبينما فرسى يشتد بى عثر بى، فسقطت عنه، فقلت: ما هذا؟ ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها، فخرج السهم الذى أكره: (لا يضره)، فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت فى أثره، فبينا فرسى يشتد بى عثر بى، فسقطت عنه، فقلت: ما هذا؟ ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها، فخرج السهم الذى أكره: (لا يضره)، فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت فى أثره، فلما بدا لى القوم ورأيتهم، عثر بى فرسى، فذهبت يداه فى الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار!

فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع منى، وأنه ظاهر، فناديت القوم، فقلت: أنا سراقة بن جعشم، أنظرونى أكلمكم، فوالله لا أريبكم، ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه.

---

(٣) استهمت ا، كما يفعل بالقرعة.

فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: قل له: وما تبتغى منا؟ فقال ذلك أبو بكر. قلت: تكتب لى كتابًا يكون آية ما بينى وبينك. قال: اكتب له يا أبا بكر.

وأسلم سراقة يومئذ.

وخامسها:

قال ابن إسحاق فى السيرة:

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر، اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى؛ للجوار الذى كان رسول الله ﷺ عقد لهما.

وكان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم فى دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما

أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه.

ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار بيوتهم قاعد.

ثم قالوا: فمَن رجلٌ يعلو هذا البيت، فيُلقى عليه صخرة فيريحنا منه؟

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك.

فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه، فيهم: أبو بكر وعمر وعلى — رضوان الله عليهم.

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استلبثت النبى ﷺ أصحابه قاموا فى طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به. وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم.

وقد تم إجلاؤهم عن ديارهم بعد حصار دام ست ليالٍ.

ونزل فى ذلك قول الله تعالى:

﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار* ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار﴾ [الحشر: ٢-٣].

وسادسها: قصة عُمير بن وهبٍ الجمحى:

وعُمير هذا كان من شياطين العرب، اشتهر بالغدر والفتك والصعلكة.

أما محاولته فمعروفة، وكانت سببًا فى هدايته، فى إسلامه وإيمانه!

قال موسى بن عُقبة فى (المغازى) عن ابن شهاب[١]:

---

(١) الإصابة، لابن حجر العسقلا ، ج ٣، ص ٣٦، تر ة رقم ٦٠٦.

لما رجع كل المشركين إلى مكة[٢]، فأقبل عُمير بن وهب حتى جلس إلى صفوان بن أمية فى الحجر[٣]، فقال صفوان قبح الله العيش بعد قتلى بدر. قال عُمير: أجل ما فى العيش خير بعدهم، ولولا دَين علىَّ لا أجد له قضاء، وعيال لا أدع لهم شيئًا لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأت عينى منه، فإن لى عنده عِلة[٤] أعتل بها عليه؛ أقول: قدِمتُ من أجل ابنى هذا الأسير.

ففرح صفوان، وقال له: علىَّ دَينك، وعيالك أسوة عيالى فى النفقة، لا يسعنى شىء فأعجز عنهم.

فاتفقا، وحمله[٥] صفوان، وجهزه.

وأمر بسيف عُمير، فصقل وسُمَّ.

---

(٢) بعد غزوة بدر الكـ ى.

(٣) حجر إ اعيل – عليه السلام – عند الكعبة ا شرفة.

(٤) عِلة: سبب وحجة.

(٥) له: اشترى، أو قدم له ركوبا.

وقال عمير لـصفوان: اكتم خبرى أيامًا.

وقدِم عُمير المدينة، فنزل بباب المسجد، وعقل راحِلتَه، وأخذ السيف، وعمد إلى رسول الله ﷺ، فنظر إليه عُمر رضى الله عنه، وهو فى نفر من الأنصار، ففزع[1]، ودخل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ... لا تأمنه على شىء.

فقال ﷺ: أدخله علىَّ.

فخرج عمر، فأمر أصحابه أن يدخلوه إلى رسول الله ﷺ ويحترسوا من عُمير.

وأقبل عُمر - رضى الله عنه — وعُمير حتى دخلا على رسول الله ﷺ، ومع عُمير سيفه، فقال رسول الله ﷺ لعمر: تأخر عنه[2].

(١) فزع: بادر مسرعا، وليست ﻫ : خاف .

(٢) و روايةٍ أن عمر – رضى ا عنه – قد أدخله على رسول ا ﷺ، وقد عقله ـمالة سيفه، فقال له رسول ا ﷺ : أرسله يا عمر. ادن يا عم .

فلما دنا عُمير قال:

- أنعموا صباحًا (وهى تحية الجاهلية).

فقال رسول الله ﷺ:

- قد أكرمنا الله تعالى عن تحيتك، وجعل تحيتنا تحية أهل الجنة وهو السلام.

فقال عمير: إن عهدنا بها لحديث(٣).

فقال ﷺ: ما أقدمك يا عُمير.

قال: قدِمتُ على أسيرى عِندكم، تفادونا فى أسرانا، فإنكم العشيرة والأهل.

فقال ﷺ: وما بال السيف فى عنقك؟

---

(٣) أى : جديدة علينا، لا نعرفها.

فقال: قبَّحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئًا؟! إنما نسيته فى عنقى حين نزلت.

فقال رسول الله ﷺ: اصدُقنى. ما أقدمك يا عُمير؟

قال ﷺ: ما قدمت إلا فى طلب أسيرى.

قال ﷺ: فماذا شرطت لصفوان فى الحجر؟

ففزع عُمير، وقال: ماذا شرطت له؟!

فقال ﷺ: تحمَّلت له بقتلى على أن يعول أولادك ويقضى دينك، والله تعالى حائل بينك وبين ذلك.

فقال عُمير: أشهد أنك رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله.

كنا — يا رسول الله — نكذبك بالوحى، وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان بينى وبين صفوان فى الحجر — كما قلت — لم يطلع عليه أحد، فأخبرك الله به، فالحمد لله الذى ساقنى هذا المساق!

ففرح به المسلمون، وقال له رسول الله ﷺ: اجلس يا عُمير، نواسِك.

وقال لأصحابه رضى الله عنهم:

- علموا أخاكم القرآن، وأطلقوا له أسيره.

فقال عُمير: اِيذن لى يا رسول الله، فألحق بقريش، فأدعوهم إلى الله وإلى الرسول، لعل الله أن يهديهم.

فأذن له، فلحق بمكة. وجعل صفوان يقول لقريش[1]:

- أبشروا بفتح ينسيكم وقعة بدر.

وجعل يسأل كل راكب قدِم من المدينة: هل كان بها حدث؟

حتى قدم عليهم رجل فقال لهم: قد أسلم عُمير. فلعنه المشركون، وقال صفوان: لله علىَّ أن لا أكلمه أبدًا، ولا أنفعه بشىء.

---

(١) وذلك أثناء غياب عم ا دينة.

ثم قدم عُمير، فدعاهم إلى الإسلام، ونصحهم بجهده، فأسلم بسببه بشرٌ كثير.

وسابعها: قصة الشاه المسمومة يوم خيبر:

وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر فى حصنيهم (الوطيح)، و(السلالم)، حتى أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم، وأن يحقن لهم دماءهم.

وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: (الشق) و(نطاة) و(الكتيبة)، وجميع حصونهم، إلا ما كان من ذينك الحصنين!

فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل. وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود، أخو بنى حارثة.

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النصف. وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأعمر لها.

فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف ... على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. فصالحه أهل فدك على مثل ذلك.

فكانت خيبر فيئًا بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث — امرأة سلام بن مشكم — شاة مصلية[١]، وقد سألت: أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع. فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ

---

(١) مصلية : مشوية.

رسول الله ﷺ. فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم. ثم دعا بها، فاعترفت. فقال: ما حملك على ذلك؟

قالت: بلغتَ من قومى ما لم يخْفَ عليكَ، فقلتُ: إن كان ملكًا استرحت منه، وإن كان نبيًّا فسيخبَر!

فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بِشْر من أكلته التى أكل.

وثامنها: قصة غورث[1]:

وكان ذلك يوم غزوة ذات الرقاع.

وهى أن رجلاً من بنى محارب يقال له (غورث)، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمدًا؟

---

(١) وقيل: دعثور.

قالوا: بلى. وكيف تقتله؟!

قال: أفتك به.

فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ في حجره[٢]، فقال: يا محمد، انظر إلى سيفك هذا؟

قال ﷺ: نعم.

وكان محلى بفضة.

فأخذه غورث، فاستله، ثم جعل يهزه ويهمّ، فيكبته الله.. ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟!

قال ﷺ: لا. وما أخاف منك؟!

قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟

قال ﷺ: لا. يمنعني الله منك.

---

(٢) و   رواية قد علقه مع قميصه   غصن شجرة.

ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ، فردّه عليه.

وقيل بأن قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [1] نزلت لهذا السبب.

أما محاولات إيذائه ﷺ ميتًا، بسرقة الجسد الشريف، أو نبشه فسنعرض لها إن شاء الله فى حينها.

مرضه ﷺ:

لما كان يوم الإثنين لأربع ليالٍ بقين من شهر صفر سنة إحدى عشرة للهجرة، أمر رسول الله ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم.

---

(١) وقيل نزلت عمرو بن جحاش من ب النض .

وفى اليوم التالى دعا إليه أسامة بن زيد — رضى الله عنهما — وأمره على الجيش الذى يستعد للخروج، وقال له:

سر إلى موضع مقتل أبيك[١]، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش؛ فأغر صباحًا على أهل (أبنَى)، وحرق عليهم، وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون[٢] والطلائع أمامك.

وفى صبيحة يوم الأربعاء شعر رسول الله ﷺ بالحمى والصداع، وتعب يومه كله.

فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده الشريفة، ثم قال: أغر باسم الله، فى سبيل الله، فقاتل من كفر بالله.

---

(١) كان استشهاد زيد – رضى ا عنه – مؤتة على وم الشام .

(٢) العيون : ا واسيس (الاستخبارات العسكرية).

فخرج أسامة من عند رسول الله ﷺ باللواء المعقود، فأعطاه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمى، وعسكر بالجرف، ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب فى تلك الغزوة.

فقد كان فى جيش أسامة: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبى وقاص وسعيد ابن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم.. وغيرهم، رضى الله عنهم.

لكن بعض الناس انتقدوا إمارة أسامة، وهو شاب صغير يافع لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، على جيش فيه شيوخ الصحابة وكبارهم، وقالوا: يُستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟!

وعلم رسول الله ﷺ بمقالة هؤلاء، فغضب غضبًا شديدًا، وتحامل على نفسه فى مرضه، ثم خرج إلى المسجد، وقد عصب رأسه، ووضع على كتفيه قطيفة، ثم صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد أيها الناس، فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة، لئن طعنتم فى إمارتى لأسامة لقد طعنتم فى إمارتى أباه من قبل. وايم الله، إن كان لخليقًا للإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلى. . .، واستوصوا به خيرًا؛ فإنه من خياركم.

ثم نزل فدخل بيته.

وكان ذلك يوم السبت فى العاشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة. وبدأ الجند يتوافدون على رسول الله ﷺ يودعونه، وهو فى أشد حالات المرض، لكنه كان يقول لكبار الصحابة:

أنفذوا بعث أسامة.

وأتاه أسامة مودعًا، مستأذنًا بالمسير، فوجده مغمورًا قد ارتفعت درجة الحمى عنده، فطأطأ أسامة، فقبله رسول الله ﷺ، وجعل يرفع يديه الشريفتين إلى السماء ثم يضعهما على أسامة، ولا يتكلم.

وعرف أسامة أن رسول الله ﷺ يدعو له، فدمعت عيناه تأثُرًا، ثم غادر إلى حيث معسكره.

ومما يروى عن مرض وفاته ﷺ أنه قد بدأ به الألم والصداع والحمى فى دار ميمونة بنت الحارث، أم المؤمنين، رضى الله عنها.

ثم أنه استأذن زوجاته أن يمرض فى حجرة عائشة، فأذِنَّ له.

وتُحدِّثنا السيدة عائشة - رضى الله عنها — عن ذلك، فتقول:

إن رسول الله ﷺ طرقه وجع، فجعل يشتكى، ويتقلب على فراشه.

فقلت له:

يا رسول الله لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه.

فقال ﷺ:

إن الصالحين يشدد عليهم؛ لأنه لا يصيب المؤمن نكبة من شوكة فما فوقها إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه خطيئة.

ويحدثنا الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى — رضى الله عنه — فيقول:

جئنا النبى ﷺ فإذا عليه صالب[١] من الحمى، ما تكاد تقر يد أحدنا عليه من شدة الحمى، فجعلنا نسبح، فقال لنا رسول الله ﷺ:

ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء، كما يشتد علينا البلاء كذلك يضاعف لنا الأجر.. إن كان النبى من أنبياء الله ليسلط عليه القُمَّل حتى يقتله، وإن كان النبى من أنبياء الله ليتعرَّى ما يجد شيئًا يوارى عورته إلا العباءة يدَّرعها.

وروت أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — فقالت:

كان رسول الله ﷺ وجعًا، فدخل عليه أصحابه يعودونه، فصلى بهم قاعدًا وهم قيام، فأومأ إليهم، أن أقعدوا.. فلما قضى صلاته قال:

إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذ كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا قعد فاقعدوا، واصنعوا مثل ما يصنع الإمام.

---

(١) الصالب: ا مى الشديدة ا رارة، فيها رعدة ورجفة.

وأمر رسول الله ﷺ صاحبه وصفيه أبا بكر — رضى الله عنه — أن يصلى بالناس فى المسجد بدلاً عنه حين لم يعد قادرًا على النهوض والمشى إلى المسجد. فلما افتتح أبو بكر الصلاة — فى اليوم الذى سبق وفاته ﷺ - وجد رسول الله ﷺ نشاطًا وخفة، فخرج إلى المسجد، وجعل يفرّج الصفوف، حتى سمع أبو بكر الحس علم أنه لا يتقدم ذلك التقدم إلا رسول الله ﷺ، فخنس[1] — رضى الله عنه — إلى الصف وراءه، فرده ﷺ إلى مكانه، وجلس إلى جنب أبى بكر، وأبو بكر قائم.

فلما فرغت الصلاة قال أبو بكر:

أى رسول الله، أراك أصبحت بحمد الله صالحًا.

ثم استأذنه فى زيارة خاصة فأذن له.

---

(١) خنس : تأخر.

وجلس ﷺ فى مصلاه إلى جانب الحُجَر، فحذّر الناس من الفتن، ثم نادى بأعلى صوته، حتى إن صوته ليخرج من باب المسجد، فقال:

إنى والله لا يمسك الناس علىّ بشىء، لا أحل إلا ما أحل الله فى كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله فى كتابه.

ثم قال:

يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول الله، اعملا لما عند الله؛ فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئًا.

ثم قام من مجلسه.

وروت السيدة عائشة رضى الله عنها، قالت:

دخل عبد الرحمن بن أم رومان - أخى — على النبى ﷺ يعوده فى مرضه، وفى يده سواك رطب، وكان رسول الله ﷺ مولعًا بالسواك، فرأيته ﷺ يشخص بصره إليه، فقلت:

يا عبد الرحمن، اقضم السواك.

فناولنيه، فمضغته، ثم أدخلته فى فِى رسول الله ﷺ، فتسوك به، فجمع بين ريقى وريقه.

وروت — رضى الله عنه — فقالت:

سألنى رسول الله ﷺ وأنا مسندته إلى صدرى، وقد أفاق من غشيته: يا عائشة ما فعلت بتلك الدنانير الذهب — وكانت ستة دنانير؟

قلت: هى عندى.

قال: أنفقيها.

ثم غشى عليه، فلما أفاق قال: أأنفقت تلك الدنانير ياعائشة؟

قلت: لا، والله يا رسول الله.

فأمرنى بها، ثم وضعها فى كفه فعدها، فإذا هى ستة دنانير، فقال:

ما ظن محمد بربه أن لو لقى الله وهذه عنده؟!

ثم قسمها كلها.

وفى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول، يوم الإثنين، عام أحد عشر للهجرة كانت ساعة الفراق.

قالت عائشة رضى الله عنها:

توفى رسول الله ﷺ فى بيتى، بين سَحرى ونَحرى[1]، وكان جبريل — عليه السلام — يدعو له بدعاء إذا مرض، فذهبت أدعو له، فرفع بصره إلى السماء، وقال: فى الرفيق الأعلى.

وفى رواية:

بينما رسول الله ﷺ على صدرى، وقد وضع رأسه على عاتقى إذ مالت رأسه، فظننت أنه يريد شيئًا من رأسى، وخرجَت من فيه نطفة باردة،

---

(١) السحر: الصدر ، والنحر: العنق.

فوقعَت على ثَغر نحرى، فاقشعر لها جلدى، فظننت أنَّه قد غشى عليه، فسجّيته فى ثوب.

وعندما تيقنَت — رضى الله عنها — من وفاته ﷺ قالت:

فلم أتركه على حاله حتى يغسل، ولكن تناولت وسادة فوضعتها تحت رأسه، ثم قمت مع النساء أصيح!

غسله وتجهيزه ﷺ ودفنه:

جاء فى كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد[١]:

أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال:

---

(١) ج: ٢، ص: ٢٩٢ وما بعدها.

لما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سرير في بيته[٢]، وكان المسلمون قد اختلفوا فى دفنه، فقال قائل: ادفنوه فى مسجده؛ وقال قائل: ادفنوه مع أصحابه فى البقيع.

قال: أبو بكر رضى الله عنه.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما مات نبى إلا دفن حيث يقبض".

فرفع فراش النبى ﷺ - الذى توفى عليه — ثم حفر له تحته.

أخبرنا يزيد بن هارون عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال:

قالت: عائشة لأبى بكر:

إننى رأيت فى المنام كأن ثلاثة أقمار سقطن فى حجرتى!

فقال أبو بكر: خير.

---

(٢) حجرة عائشة رضى ا عنها.

قال يحيى: فسمعت الناس يتحدثون أن رسول الله ﷺ لما قبض فدفن فى بيتها، قال لها أبو بكر: هذا أحد أقمارك، وهو خيرها.

أخبرنا هاشم بن القاسم، أخبرنا المسعودى عن القاسم بن عبدالرحمن، قال:

قالت عائشة:

رأيت فى حجرتى ثلاثة أقمار، فأتيت أبا بكر، فقال: ما أوّلتِها؟ قالت: ولدًا من رسول الله ﷺ . فسكت أبو بكر حتى قبض رسول الله ﷺ فأتاها، فقال لها:

خير أقمارك ذهب به!

ثم كان أبو بكر وعمر دفنوا جميعًا فى بيتها.

أخبرنا سعيد بن سليمان، أخبرنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم، قال:

سمعت أبى قال:

كانت عائشة — رضى الله عنها — تكشف قناعها حيث دفن أبوها مع رسول الله ﷺ، فلما دفن عمر تقنّعت، فلم تطرح القناع.

أخبرنا موسى بن داود سمعت مالك بن أنس يقول:

قسم بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، وقسم كانت تكون فيه عائشة، وبينهما حائط.

فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فُضلاً[1]، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهى جامعة عليها ثيابها.

ذكر حفر قبر رسول ا ﷺ:

(١) فضلاً: أى ثيا ا العادية ال ترتديها البيت.

أخبرنا وكيع بن الجراح والفضل بن دُكين عن سفيان الثورى عن عثمان بن عمير البجلى .. عن جرير بن عبد الله، قال:

قال رسول الله ﷺ: اللحد لنا، والشق لغيرنا.

قال وكيع فى حديثه: والشق لأهل الكتاب.

وقال الفضل بن دكين فى حديثه: والشق لغيرنا.

أخبرنا أنس بن عياض الليثى، حدثنى هشام بن عروة عن أبيه أنه كان بالمدينة رجلان يحفران القبور، يلحد أحدهما ويشق الآخر.

قال: فقالوا: كيف نصنع برسول الله ﷺ؟

فقال بعضهم: انظروا أولهما يجىء فليعمل عمله. فجاء الذى يلحد، فلحد لرسول الله ﷺ.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال:

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ كان بالمدينة رجلان: أبوعبيدة بن الجراح يضرح[1] حفر أهل مكة، وكان أبو طلحة — الأنصارى- هو الذى يحفر لأهل المدينة، وكان يلحد. فرأى العباس — رضى الله عنه — رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبى عبيدة، وقال للآخر: اذهب إلى أبى طلحة.

اللهم خِرْ لرسولك.

فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة، فجاء به، فألحد له.

ماذا ألقى فى قبر النبىﷺ؟

أخبرنا وكيع بن الجراح والفضل بن دكين وهاشم بن القاسم الكنانى، قالوا:

أخبرنا شعبة بن الحجاج .. قال: سمعت ابن عباس يقول:

---

(١) الضرح: الشق.

جعل فى قبر النبى ﷺ قطيفة حمراء.

قال وكيع: هذا للنبى ﷺ خاصة.

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى، أخبرنا الأشعث بن عبدالملك الحمرانى عن الحسن أن رسول الله ﷺ بسط تحته سمل[1] قطيفة حمراء كان يلبسها. قال: وكانت أرضًا ندية.

ذكر من نزل فى قبر النبىﷺ.

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى، أخبرنا الأشعث بن عبدالملك الحمرانى عن الحسن:

أن النبى ﷺ أدخله القبر بنو عبد المطلب.

---

(١) ل : بقية.

أخبرنا وكيع بن الجراح وعبد الله بن نمير عن إسماعيل بن أبى خالد عن عامر قال:

دخل قبر النبى ﷺ علىٌّ والفضل وأسامة.

قال عامر: وأخبرنى مرحب (أو ابن أبى مرحب) أنهم أدخلوا معهم فى القبر عبد الرحمن بن عوف.

قال وكيع فى حديثه: قال الشعبى: وإنما يلى الميت أهلُه.

خاتم المغيرة بن شعبة

أخبرنا عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى، قال: أخبرنا حماد ابن سلمة عن هشام بن عروة أنه قال:

لما وضع رسول الله ﷺ فى لحده ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه فى القبر، ثم قال: خاتمى، خاتمى. فقالوا: ادخُل فخُذه. فدخل، ثم قال: أهيلوا

علىَّ التراب. فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف ساقيه فخرج، فلما سُوِّى على رسول الله ﷺ قال — المغيرة — اخرجوا حتى أغلق الباب؛ فإنى أحدثكم عهدًا برسول الله ﷺ؛ فقالوا: لعمرى لئن كنت أردتها لقد أصبتها.

ذكر تسنيم قبر رسول ا ﷺ

أخبرنا الفضل بن دكين ومالك بن إسماعيل قالا: أخبرنا الحسن .. قال مالك بن إسماعيل...:

دخلت مع مصعب بن الزبير البيت الذى فيه — يعنى قبر رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر فرأيت قبورهم مستطيلة.

أخبرنا حماد بن إبراهيم:

أن النبى ﷺ جُعل على قبره شيء مرتفع من الأرض حتى يعرف أنه قبره.

أول تهدم فى الجدار الذى يفصل بين سكن عائشـة- رضى ا عنها- وبين الحجرة الشريفة:

أخبرنا محمد بن الوليد .. أخبرنا مسلم بن خالد، حدثنى إبراهيم بن نوفل بن سعيد بن المغيرة الهاشمى عن أبيه قال:

انهدم الجدار الذى على قبر النبى ﷺ، فى زمان عمر بن عبدالعزيز، فأمر عمر بعمارته.

قال: فإنه لجالس، وهو يُبنى، إذ قال لعلى بن حسين: قم يا على فقُمَّ[١] البيت – يعنى بيت النبى ﷺ. فقام إليه القاسم بن محمد[٢]، فقال: وأنا أصلحك الله.

---

(١) قمه: اكنسه، ونظفه.

قال: نعم، وأنت فقم.

ثم قال له سالم بن عبد الله (بن عمر): وأنا أصلحك الله.

قال عمر: اجلسوا جميعًا، وقم يا مزاحم[٣] فقمَّه.

فقام مزاحم فقمه.

قال مسلم: وقد أثبت لى بالمدينة أن البيت الذى فيه قبر النبى ﷺ بيت عائشة، وأن بابه وباب حجرته تجاه الشام، وأن البيت كما هو، سقفه على حاله، وأن فى البيت جرة، وخَلَقَ رحاله.

دفْن أبى بكر وعمر – رضى ا عنهما – إلى جانب رسول ا ﷺ:

(٢) القاسم بن مد بن أ بكر.

(٣) مزاحم: مو عمر بن عبد العزيز.

أوصى الخليفة الصديق — رضى الله عنه - ابنته أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — أن يدفن فى حجرتها إلى جنب رسول الله ﷺ، فلما توفى دفن فى الحجرة الشريفة.

قال ابن كثير: توفى أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — فى جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة للهجرة، بعد مرضٍ خمسة عشر يومًا، وكان عمر بن الخطاب يصلى عنه فيها بالمسلمين، وكان عمره يوم تُوُفِّى ثلاثًا وستين سنة، للسن التى توفى فيها رسول الله ﷺ.

وقد جمع الله بينهما فى التربة كما جمع بينهما فى الحياة. فرضى الله عنه وأرضاه[1].

دفن عمر رضى ا عنه

---

(١) البداية والنهاية، ج: ٧، ص: ١٨.

"اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك"[٢].

هذا ما كان يدعو به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه ربه، أن يجعل موته شهادة فى سبيله، وفى بلد نبيه ﷺ.

ذلك أن النبى ﷺ عاش فى المدينة بعد الهجرة من مكة المكرمة، ومات بها. ولا ننسى مقالته للأنصار بعد فتح مكة - وقد ظن بعضهم أنه ﷺ قد عاد إلى بلده وموطنه، وسيقيم فى مكة، فأرجفوا بذلك - فقال لهم ﷺ: بل المحيا محياكم، والممات مماتكم.

فارتاحوا إلى ذلك واطمأنوا.

ولقد رغَّب النبى ﷺ، المسلمين فى السكنى بالمدينة المنورة، والموت بها، كما روى عن ابن عمر — رضى الله عنهما - قال:

---

(٢) صحيح البخارى، كتاب فضائل ا دينة، باب: ١٨٩٠،٢٩.

قال رسول الله ﷺ: "من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل؛ فإنى أشهد لمن مات بها"[١].

قال ابن كثير فى البداية والنهاية:

فاستجاب الله لـه — أى لعمـر — هـذا الـدعاء، وجمـع لـه بـين هـذين الأمرين: الشهادة والوفاة فى المدينة المنورة.

فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة (فيروز) المجوسى[٢]، وهو قائم يصلى فى المحراب صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين بخنجر ذى طرفين، فخر من قامته، وحُمل إلى منزله والدم يسيل من جرحه، فجعل يفيق، ثم يغمى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة، فيفيق، ويقول: نعم. ولا حظ فى الإسلام لمن تركها. ثم صلى فى الوقت، ثم سأل

(١) رواه ابن ماجه سننه وصححه (كتاب ا ناسك)، باب فضـل ا دينـة (٢٥: ٣١١٢).
(٢) كان غلاما للمغ ة بن شعبة.

عمن قتله، من هو؟ فقالوا: أبو لؤلؤة (غلام المغيرة بن شعبة)، فقال: الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يدى رجل يدعى الإيمان.

ومات بعد ثلاثٍ، ودفن يوم الأحد، صباح هلال المحرم من سنة أربع وعشرين للهجرة، بالحجرة النبوية إلى جانب الصدّيق، رضى الله عنهما.

الاستئذان:

عن عمرو بن ميمون — الأودى — قال:

رأيت عمر بن الخطاب — رضى الله عنه- قال: يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام. ثم سلها أن أدفن مع صاحبىّ.

قالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرنَّه اليوم على نفسى.

فلما أقبل عبد الله قال عمر: ما لديك؟

قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين.

قال عمر: .. فإذا قبضت فاحملونى ثم سلموا، ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب. فإن أذنت لى فادفنونى، وإلا فردونى إلى مقابر المسلمين.

وجاء فى صحيح البخارى(١):

عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال:

وُضع عمر على سريره، فتكنفه الناس، يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعنى إلا رجل أخذ منكبى، فإذا على ابن أبى طالب، فترحم على عمر، وقال:

ما خلت أحب أن ألقى الله بمثل عمله منك. وايم الله! إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنى كثيرًا أسمع النبى ﷺ، يقول: ذهبت

---

(١) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر (٦٢ – ٣٦٨٥).

أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ... وخرجت أنا وأبو بكر وعمر.

قال ابن حجر:

فتكنفه الناس، أى أحاطوا به من جميع جوانبه. وقوله فلم يرعنى: أى فلم يفزعنى، والمراد أنه رآه بغتة. وفى قوله: أحب أن ألقى الله - دليل على أن عليًّا كان لا يعتقد أن لأحد عملاً فى ذلك الوقت أفضل من عمل عمر رضى الله عنه.

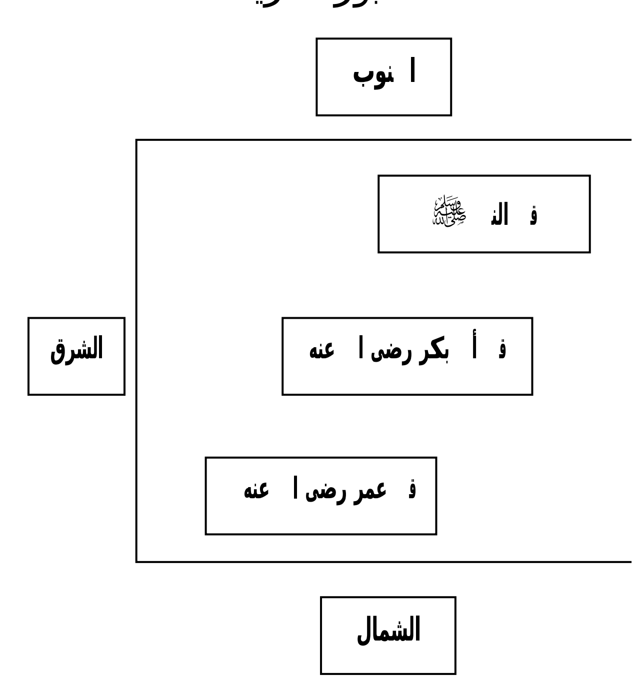
ولما دفن عمر فى الحجرة الشريفة جعلت عائشة — رضى الله عنها — سـاترًا بينها وبين القبور الشريفة؛ لأن عمر — رضى الله عنه — ليس بمحرم، فاحترمته بعد وفاته.

وجاء فى كتاب (وفاء الوفا):

عن عائشة — رضى الله عنها — أنها قالت:

ما زلت أضع خمارى، وأتفضل فى ثيابى، فلم أزل متحفظة فى ثيابى حتى بنيت بينى وبين القبور الثلاثة جدارًا.

صفة القبور الشريفة:



رسم تقريبـى لصفة القبور الشريفة

تعددت الروايات فى بيان صفة قبر النبى ﷺ وصاحبيه، أبى بكر وعمر – رضى الله عنهما – فى الحجرة الشريفة. فقد ذكر ابن النجار والسمهودى وغيرهما هذه الروايات مفصلة، والراجح منها أن قبر النبى ﷺ فى جهة القبلة مقدمًا، ويليه قبر أبى بكر – رضى الله عنه – من الخلف، والرأس عند منكب النبى ﷺ، ثم يليه قبر عمر – رضى الله عنه – والرأس عند منكب أبى بكر رضى الله عنه.

كما روى نافع بن أبى نعيم أن قبر النبى ﷺ فى جهة القبلة مقدَّمًا، ثم قبر أبى بكر – رضى الله عنه – حذاء منكب النبى ﷺ، وقبر عمر – رضى الله عنه – حذاء منكب أبى بكر رضى الله عنه[1] .

---

(١) أخبار مدينة الرسول ﷺ، ص: ١٣٦.

وقد اعتمد الإمام النووى هذه الكيفية للسلام على رسول الله ﷺ، وصاحبيه، إذ قال:

يأتى الزائر القبر الكريم فيستقبل جدار القبر، ويستدبر القبلة، ثم يسلم على رسول الله ﷺ، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع فيسلم على أبى بكر رضى الله عنه؛ لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع للسلام على عمر رضى الله عنه[1].

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد - منعًا للاشتباه، أو التأويل، أو كثرة الأقاويل - أن القبور الشريفة قد ثبت أن الصحابة — رضوان الله عليهم — لم يجصصوا قبر النبى ﷺ، ولا قبرى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، كما لم يعملوها باللبن من الخارج، فبقيت على حالها إلى الآن.

وقد أفادنا بذلك كل من تشرف برؤيتها داخل الحجرة الشريفة.

---

(١) ا موع، شرح التهذيب، للنووى، ٢٥٥/٨.

وإليك طائفة من الأخبار التى تثبت ذلك.

روى عن القاسم بن محمد[٢] أنه قال:

دخلت على عائشة، فقلت: يا أمّه، اكشفى لى عن قبر النبى ﷺ، وصاحبيه رضى الله عنهما.

فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العَرَصة الحمراء[٣].

وفى رواية لابن سعد فى الطبقات[١]

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى هشام بن سعد عن عمرو بن عثمان، قال:

---

(٢) القاسم بن مد بن أ بكر؛ فهو ابن أخيها رضى ا عنهم.

(٣) لا مشرفة: لا عالية. لا لاطئة: وليست منخفضة مسواة بالأرض. فرشت با صى الصغ الأ ر.

(١) ج: ٢، ص: ٣٠٧.

سمعت القاسم بن محمد يقول: اطلعت وأنا صغير على القبور، فرأيت عليها حصبًا وحمراء.

وروى أبو بكر الآجرى فى صفة قبر النبى ﷺ، عن غنيم بن بسطام المدنى، قال:

رأيت قبر النبى ﷺ فى إمارة عمر بن عبد العزيز[٢]، فرأيته مرتفعًا نحوًا من أربع أصابع[٣].

وروى عن رجاء بن حيوة، قال:

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز — وكان قد اشترى حجر أزواج النبى ﷺ: أن اهدمها ووسع بها المسجد، فلما هدم البيت[٤] (لإعادة بنائه) ظهرت القبور الثلاثة، وكان الرمل الذى عليها قد انهار[٥].

---

(٢) عندما كان واليا على ا دينة زمن خلافة الوليد بن عبد ا لك.
(٣) فتح البارى، ٢٥٧/٣. ويع بالارتفاع: عن الأرض.
(٤) أى حجرة عائشة.

وكان ذلك سنة ٨١ هـ.

وفى سنة ٨٧٨ هـ أعيد بناء بعض جدران الحجرة الشريفة؛ وتشرف السمهودى (صاحب كتاب وفاء الوفا) بدخول الحجرة ووصفها، فقال:

دخلت الحجرة الشريفة من مؤخرها، فشممت رائحةً ما شممت فى عمرى أطيب منها، ثم سلمت على أشرف الأنبياء، ثم على ضجيعيه، خلاصة الأصفياء.

فلما قضيت من ذلك الوطر متعت عينى من تلك الساحة بالنظر، لأتحف بوصفها المشتاقين، فتأملت الحجرة الشريفة، فإذا هى فى أرضها مستوية، وتناولت من ترابها بيدى، فإذا نداوة وحصباء، ولم أجد للقبور الشريفة

---

(٥) فتح البارى، ٢٥٧/٣.

أثرًا[١]، غير أن بأوسط الحجرة موضعًا فيه ارتفاع يسير جدًا، ولعله قبر عمر — رضى الله عنه.ا.هـ باختصار وتصرف.

تجديد عمارة الحجرة الشريفة عبر التاريخ

كيف كانت حجرة عائشة رضى الله عنها؟

يقول المؤرخون والمحدثون عن الرواة:

كانت حجرة عائشة — رضى الله عنها — من جريد، مستورة بمسوح الشَّعر[١]، وكان بابها مصراعًا من عرعر أو ساج[٢]، فلما تولى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — الخلافة أعاد بناء الحجرة الشريفة، واستبدل

---

(١) ا يدل على أن القبور الشريفة غ صصة ولا مبنية باللبن.

(١) أكسية مغزولة من شعر ا اشية وأوبار الإبل؛ والبدو يتخذو ا خياما م.

(٢) العرعر: شجر صنوبرى سامق (السرد)k وهى فارسية.

والساج: خشب من جنو آسيا، يل ا نظر، وخشبه أجود الأخشاب.

بالجريد جدارًا من لبن. ثم بنى عبدالله ابن الزبير جدار الحجرة، كما روى ابن سعد فى (الطبقات) عن عبيد الله بن أبى يزيد[3]، قال: لم يكن على عهد النبى ﷺ على بيت النبى ﷺ حائط، وكان أول من بنى عليه جدارًا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان جداره قصيرًا، ثم بناه عبد الله بن الزبير بعد، وزاد فيه، أى فى علوه.

فى عهد الوليد بن عبد الملك

عندما كان عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — أميرًا على المدينة فى عهد الوليد بن عبد الملك وسع فى المسجد النبوى الشريف، وأعاد بناء الحجرة المطهرة بأحجار سوداء بنفس المساحة التى بنى بها بيت رسول الله ﷺ.

(٣) الطبقات الكبرى، ٢٩٤٢، وروى ذلك أيضا عمرو بن دينار.

كما روى لنا البخارى عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه قال:

لما سقط عليهم الحائط زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا فى بنائه، فبدت لهم قدم، ففزعوا، وظنوا أنها قدم النبى ﷺ، فما وجدوا أحدًا يعلم ذلك، حتى قال لهم عروة: لا، والله، ما هى قدم النبى ﷺ، ما هى إلا قدم عمر بن الخطاب[1].

وقد ورد تفصيل ذلك فيما روى يحيى من طريقه عن عبد الله ابن محمد بن عقيل[2] قال:

---

(١) صحيح البخارى، كتـاب ا ئـائز، بـاب مـا جـاء قـ الـئ ﷺ، ٢٣ — ١٢٩٠.

(٢) هو عبد ا بن مد بن أ طالب، روى عن أبيه وخاله، مد بن ا نفية وابـن عمر وأنس وجابر، تابعى فقيه، ضعيف ا ا ديث، مات با دينة بعد الأربعـ ومائة. ا عارف، ص ٢٠٤، ٢٠٥، و ذيب التهذيب، ١٣/٦.

كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل، حتى آتى المسجد، فأبدأ بالنبى ﷺ ، فأسلم عليه، ثم آتى مصلاى فأجلس به حتى أصلى الفجر.

فخرجت فى ليلة مطيرة، حتى إذا كنت عند دار مغيرة بن شعبة[٣] لقيتنى رائحة، لا والله ما وجدت مثلها قط، فجئت المسجد، فبدأت بقبر النبى ﷺ، فإذا جداره قد انهدم، فدخلت فسلمت على النبى ﷺ، ومكثت فيه مليًا، فلم ألبث إذ سمعت الحس، فإذا عمر بن عبد العزيز قد أخبر، فجاء، فأمر بستره بالقباطى[١].

فلما أصبح دعا وردان البنَّاء، فقال له: ادخل. فدخل، فكشف. فقال: لا بد لى من رجل يناولنى. فكشف عمر بن عبد العزيز ساقيه يريد أن يدخل،

---

(٣) كانت دار ا غ ة بن شعبة شرقى ا سجد، ب ا سجد والبقيع.

(١) القباطى: ثياب كتانية بيضاء رقيقة تنسج صـر، وهـى منسـوبة إ القـبط، على غ قياس.

فكشف القاسم بن محمد، وكشف سالم بن عبد الله[٢]، فقال عمر: ما لكم؟ قالوا: ندخل والله معك ...!

فلبث عمر هنيهة ثم قال: والله لا نؤذيهم بكثرتنا اليوم. ادخل يا مزاحم[٣] فناوله. فقال عمر: يا مزاحم كيف ترى قبر النبى ﷺ، قال: متطأطئ. قال: فكيف ترى قبر الرجلين (أبى بكر وعمر – رضى الله عنهما)؟ قال: مرتفعين. قال عمر: أشهد أنه رسول الله ﷺ. فلما فرغوا من البناء قال عمر بن عبد العزيز: قم يا على فقمَّ البيت[٤] – يعنى بيت النبى ﷺ. فقام إليه القاسم ابن محمد، فقال: وأنا – أصلحك الله. قال: نعم، وأنت فقم.

---

(٢) ابن عبد ا بن عمر بن ا طاب، الفقيه الراوى، تابعى ثقة، تو سنة (١٠٥هـ).
(ذيب التهذيب ٤٣٨/٣).
(٣) مزاحم بن أ مزاحم ا كى، مو عمر بن عبد العزيز.
(٤) قم البيت: أى كنسه. وعلى هو ابن ا سـ رضى ا عنهما.

ثم قال له سالم بن عبد الله: وأنا، أصلحك الله. قال عمر: اجلسوا جميعًا، وقم يا مزاحم فقمه.

فدخل مزاحم مولى عمر، وقمَّ ما سقط على القبر من التراب والطين، ونزع القباطى. وكان عمر يقول: لئن وليت ما وُلى مزاحم من قم القبور أحب إلى من أن يكون لى من الدنيا كذا وكذا ... - وذكر مرغوبًا من الدنيا [1].

السور (الحائز المخمس)

روى صاحب كتاب المناسك بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

---

(١) وفاء الوفا، ٢-٤٥٤،٤٥٦ وقد جاءت الرواية طبقات ابن سعد مقاربة ا ذكر إلا آخرها .

لما أراد عمر بن عبد العزيز هدم الحجرات[٢] وإدخالها فى المسجد، هدم حجرة عائشة — أول ما هدم — فرأى جدار بيت النبى ﷺ، قد أكله الناس مما يحتُّون ترابه، حتى رمَّد فانهدم الجدار الشرقى، فأمر بأن يبنى عليه هذا الجدار. فلما أجمع ذلك تهيأ ليدخل البيت فيمسح القبور وما عليها من تراب، فتهيأتُ — يقول عروة — أنا وغيرى لندخل معه، فلما رأى ذلك كف عن الدخول، وأمر مولاه مزاحم، فدخل فمسح تلك القبور مما عليها من العنكبوت والغبار، فخرج به فى ثوبه.

ثم أمر عمر بباب بيت النبى ﷺ الشرقى فبنى، ثم جعل حول ذلك سورًا، وجعله مُزْوَرًّا لئلا يصلَّى إليه، فهو هذا السور الذى يرى اليوم[١]- أى: الحائز المخمَّس.

---

(٢) حجرات أزواج النـ ﷺ، وذلك زمن التوسعة على عهد الوليد بن عبد ا لملك.

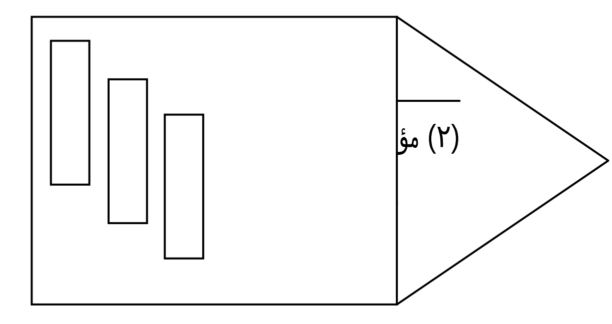
(١) كتاب ا لناسك، ص ٣٧٦.

والحـائز المخمـس بنـاه عمـر بـن عبـد العزيـز — كمـا أسـلفنا — حـول الحجرة الشريفة، أثناء عمارته المسجد النبوى الشريف سنة إحدى وتسعين للهجرة (٩١هـ).

وعُرف هذا الحائز بالمخمس لكونه عبارة عن خمسة جدران (أضلاع) ترتفع عن أرض المسجد ثلاثة عشر ذراعا — نحو ستة أمتار ونصف.

ولـيس لهـذا الحـائز المخمـس بـاب ولا سـقف، ممـا جعـل الحـائز حـاجزًا للدخول والرؤية إلى الحجرة النبوية الشريفة، التى بها القبور المباركة.

وإليــك رســمًا تقريبيًّــا — نقــلاً عــن كتـــاب (تـــاريخ المســـجد النبـــوى الشريف)[٢].



(٢) مؤ

القبور الشريفة

ا نوب

أما اسم الحجرة الشريفة فيطلق اليوم على هذا الحائز المخمس أيضًا!

حديث السمهودى[1] عن الحائز المخمس

ذكر السمهودى أن عمر بن عبد العزيز أقام حول الحجرة الشريفة التى بها القبور المباركة - البناءَ الخماسى الذى تسدل عليه الكسوة اليوم.

(١) وفاء الوفا بأخبار ا صطفى، وخلاصة الوفا، نور الدين على بن أ د السمهودى، ٩١١هـ. دار الكتب العلمية – ب وت، قيق مد الدين عبد ا ميد.

وجعله مخمسًا ولم يجعله مربعًا خشية أن يشبه الكعبة المشرفة فى بنائها المربع، وخشية أن يستقبله الناس كما يستقبلون الكعبة[٢].

وعن هذا الحائز المخمس قال إسحاق بن إبراهيم التونسى:

إن عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — اخترع ذلك فى تدبير بنائها مخافة أن يتخذها الناس مصلى[١].

وقال ابن حجر الهيتمى:

لما وُسع المسجد الشريف جعلت حجرته ﷺ مثلث الشكل حتى لا يتأتى لأحد أن يصلى إلى جهة القبر الشريف، مع استقباله القبله[٢].

---

(٢) خلاصة الوفا، ص : ٣٠٣، ومرآة ا رم ، لإبراهيم رفعت ١-٦٦٣.

(١) رحلة ابن جب ، ص : ٥٠، لأ ا سـن مـد بـن جـب ، ٦١٤هـ ـ – دار ا لال – ب وت.

(٢) نزهة الناظرين، ص: ٧١.

وذكر السمهودى وإبراهيم رفعت أن ارتفاع الحائز المخمس من أرض المسجد ثلاثة عشر ذراعًا وثلثًا، ويقدر ذلك بستة أمتارٍ ونصف تقريبًا، وبين جدار الحجرة الشريفة والحائز المخمس من جهة الشمال فضاء، شكله مثلث، ومساحته نحو ثمانية أذرع، أى ما يقارب أربعة أمتار.

وبين جدار البيت الشرقى والجدار الشرقى الظاهر فضاء.

وعند ابتدائه من جهة الشمال نحو ذراع اليد، فإذا ما اقترب من القبلة يضيق إلى شبر.

وهكذا بين جدار البيت القبلى والجدار الظاهر القبلى فضاء، أوله من جهة الشرق ذراع، ثم أقل من ذلك إلى ملتقى الحائطين فى جهة الغرب، بحيث يصبح شبرًا.

ولا يوجد فضاء بين الجدار الخارج والداخل من جهة الغرب[1].

---

(١) وفاء الوفا، ومرآة ا رم ، (٢-٥٦٥،٥٦٣) (١-٤٧٣).

أما طول جدران الحائز الظاهر من كل زاوية إلى الأخرى من خارجه، فطول الجدار القبلى سبعة عشر ذراعًا - قرابة ثمانية أمتار ونصف المتر، وطول الجدار الغربى من القبلة إلى طرف مقام جبريل — عليه السلام — فستة عشر ذراعًا ونصف ذراع - قرابة ثمانية أمتار. وذرْع المنعطف من مقام جبريل — عليه السلام — إلى الزاوية الشمالية فاثنا عشر ذراعًا ونصف ذراع - قرابة ستة أمتار. وطول الجدار الشرقى فى القبلة إلى الزاوية التى ينحرف منه إلى جهة الشمال فاثنا عشر ذراعًا ونصف ذراع - قرابة ستة أمتار. وطول الجدار المنعطف فى الجدار المذكور إلى الزاوية الشمالية فنحو أربعة عشر ذراعًا، قرابة سبعة أمتار[٢].

---

(٢) وفاء الوفا، ٢-٥٦٧،٥٦٦.

وفـى نهايـة القـرن الثالـث عشـر الهجـرى تشـرف البرزنجـى[١] برؤيـة الحجرة الشريفة من شباك القبة الأعلى، وقال ما ملخصه:

ثم فـى سنة ألـف ومـائتين وستة وتسـعين صـعد شيخ الحـرم إلـى سطح المسجد الشريف مع جماعة من العلماء، كنت من جملتهم، لإجراء كشف لما سـقط مـن شـباك القبـة داخـل الحجـرة الشـريفة، فاغتنمـت الفرصـة لرؤيـة الحجـرة الشـريفة والقبـة الصـغيرة مـن أعلاهـا مـن الشـباك، فرأيـت الحجـرة الشريفة مربعـة، عليهـا غطـاء سـاتر مـانع مـن رؤيـة داخـل الحجـرة الشـريفة والقبـة الصـغيرة.

---

(١) جعفر بن إ اعيل بن زين العابدين بن الشريف ا سيـ ا د ال ز ـى، مفـ الشافعية با دينة ا نورة.

غير أنى رأيت وسط الغطاء محدبًا مرتفعًا قليلاً كهيئة الخيمة، فالظاهر أنه ارتفع بسبب ارتفاع القبة الشريفة درابزينًا مُزورًا من الجهة الشامية، من خشب مصبوغ، عليه ستارة الحجرة الشريفة من كل الجهات إلا ما كان من الجهة الشامية، فإن الستارة قد أديرت من تلك الجهة على خشبتين [٢].

وتحدث السمهودى فى (خلاصة الوفا) عن اهتمامات الخلفاء والسلاطين بالحائز المخمس فقال[٣] ما ملخصه:

قد كان الحائز المخمس موضع اهتمام وعناية الخلفاء والسلاطين على مر التاريخ، فكانوا يقومون بترميمات مناسبة للحائز ضمن عنايتهم للمسجد النبوى الشريف، حيث تأثر الحائز فى الحريق الأول سنة أربع وخمسين

---

(٢) نزهة الناظرين (ص : ٦٩،٧٠).

(١) خلاصة الوفا، ص : ٣٠٤،٣٢٣.

وستمائة من الهجرة (٦٥٤هـ)، فجرى الترميم اللازم، ثم فى سنة واحد وثمانين وثمانمائة من الهجرة (٨٨١هـ)، ثم الإصلاح الشامل للحائز المخمس، وذلك بتجديد بعض الجدران وتجديد الرخام.

فلما حدث الحريق الثانى سنة ست وثمانين وثمانمائة من الهجرة (٨٨٦هـ) الموافق لـ (١٤٨١م)، سقط حريق القبة الظاهرة وحريق السقف على القبة السفلى، ولم يصل إلى جوف الحجرة الشريفة شىء من هدم هذا الحريق، لسلامة القبة السفلى، وعدم تأثير النار فيها، والحمد لله.

وا يعصمك من الناس.. حيا وميتًا ﷺ!

قدمنا — فيما سبق فى مطلع الدراسة - محاولات أعداء الإسلام فى اغتيال النبى ﷺ وقتله، من المشركين الكافرين، ومن اليهود أهل الكتاب،

وكلها باءت بالفشل؛ ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾. وحفظ الله تعالى نبيه وعصمه إلى أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وأرسى دعائم الدين الحنيف، وتركنا على المَحَجَّة البيضاء، ليلها كنهارها. صلوات الله وسلامه عليه.

لكن هذه العداوة المتأصلة فى نفوس الحاقدين - من مشركين ومنافقين - حاول أصحابها أن يسيئوا إلى الجسد الشريف بنبش القبر، وسرقة الجسد الشريف، على مدى قرون طوال. ولكن الله تعالى الذى عصمه فى حياته حفظه أيضًا فى مماته.

وإليك نبذًا من تلك المحاولات التى أثبتتها أمهات مصادر التاريخ، وأوثق كتبه وأسفاره.

الأولى:

كانت المحاولة الأولى لنبش القبر الشريف وسرقة الجسد الطاهر، ونقله إلى مصر، فى بداية القرن الخامس الهجرى، وذلك بإشارة وتصميم من الحاكم بأمر الله العبيدى[1]، وعلى يد أبى الفتوح[2] أمير مكة والمدينة فى تلك الحقبة.

ولقد ذكر المؤرخون تفصيل هذه المحاولة نقلاً عن (تاريخ بغداد) لابن النجار بسنده، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن المبارك المقرئ، عن أبى

---

(١) ا اكم بأمر ا العبيدى هو سادس خلفاء العبيدي ، الذين ادعوا زورا التسمى بالفاطمي . ادعى الألوهية سنة ٤٠٨هـ، ومات سنة ٤١١هـ. على يد أخته ست ا لك. كان حاكما مضطربا، قاسيا، سفاكًا للدماء . البداية والنهاية، لابن كث ، ٤٤١/١١.

(٢) أبو الفتوح هو ا سن بن جعفر، من ب سليمان، تو إمرة مكة وا دينة سنة تسع وثلا ائة هـ بأمر ا اكم. صبح الأعشى للقلقشندى، ٢٩٩/٤.

المعالى صالح بن شافع الجيلى، أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن محمد المعلم، (ثنا) أبو القاسم عبدالحليم بن محمد المغربى:

أن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدى – صاحب مصر – بنقل النبى ﷺ وصاحبيه من المدينة المنورة إلى مصر، وزين له ذلك، وقال: متى تم ذلك شد الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر، وكانت منقبة لسكانها! فاجتهد الحاكم فى مدة، وبنى بمصر حائزًا، وأنفق عليه مالاً جزيلاً.

قال: وبعث أبا الفتوح لنبش الموضع الشريف. فلما وصل إلى المدينة المنورة (الشريفة) وجلس بها، حضر جماعة المدنيين – وقد علموا ما جاء فيه – وحضر معهم قارئ يعرف بالزلبانى، فقرأ فى المجلس: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ..﴾ إلى قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾.

فهاج الناس، وكادوا يقتلون أبا الفتوح ومن معه من الجند، وما منعهم من السرعة إلى ذلك إلا أن البلاد كانت لهم.

ولما رأى أبو الفتوح ذلك، قال لهم:

الله أحق أن يخشى، والله لو كان على من الحاكم فوات الروح ما تعرضت للموضوع.

وحصل له من ضيق الصدر ما أزعجه، كيف نهض في مثل هذه المخزية؟!

فما انصرف النهار ذلك اليوم حتى أرسل الله ريحًا كادت الأرض تَزلزل من قوتها، حتى دحرجت الإبل بأقتابها[١]، والخيل بسروجها كما

---

(١) قيق النصرة، ص: ١٤٦،١٤٧، الوفا ا ب ضرة ا صطفى، ص: ١٢٩. وفاء الوفا، ٦٥٢،٦٥٣/٢، عمدة الأخبار، ص: ١٢٨،١٢٩.

تدحرج الكرة على وجه الأرض، وهلك أكثرها، وخلق من الناس، فانشرح صدر أبى الفتوح، وأذهب روعه من الحاكم عذره من امتناع ما جاء فيه[1].

الثانية:

وتفيدنا المصادر التاريخية أيضًا أن الحاكم بأمر الله العبيدى لم يكتف بالمحاولة الأولى، وقد ظلت الفكرة توسوس له بمحاولة ثانية لنبش قبر المصطفى ﷺ.

لكن هذه المحاولة باءت بالفشل أيضًا والخذلان، وحفظ الله تعالى نبيه ﷺ وعصمه.

ولقد ذكر المؤرخون تفصيل هذه المحاولة، نقلاً عن كتاب (تأسى أهل الإيمان فيما جرى على مدينة القيروان) لابن سعدون القيروانى، ما نصه:

ثم أرسل الحاكم بأمر الله إلى مدينة الرسول ﷺ من ينبش قبر النبى ﷺ، فدخل الذى أراد، وسكن دارًا بقرب المسجد، وحفر تحت الأرض ليصل لقبر النبى ﷺ.

فرأوا أنوارًا — أى أهل المدينة — وسُمع صائح يقول:

أيها الناس إن نبيكم يُنبش**!**

ففتش الناس، فوجدوهم فقتلوهم[١].

الثالثة: (وفيها عجب العجاب)

(١) وفاء الوفاء، ٢-٦٥٣. ويبدو من صيغة ا مع أن النابش كان له معاونون.

لقد خطط لهذه المحاولة بعض ملوك النصارى (من الروم البيزنطيين)، ونفذت بواسطة اثنين من النصارى المغاربة، وكان ذلك فى نهاية القرن السادس الهجرى (٥٥٧ هـ).

وكان تخطيط هذه المحاولة (المؤامرة) وتنفيذها دقيقًا غاية الدقة، فى مهارة وإحكام، لكن قدرة الله تعالى فوق كل شىء، وهو — سبحانه وتعالى — الذى وعد نبيه ﷺ بالحفظ والعصمة من شرور المشركين وأيدى الحاقدين، فحفظه ﷺ، وفشلت هذه المحاولة وانكشفت، ورد الله كيد الكائدين إلى صدورهم ونحورهم.

قال السمهودى فى تفصيلها:

وقفت على رسالة قد صنعها العلامة جمال الدين الأسنوى فى المنع من استعمال الولاة للنصارى، فرأيته ذكر فيها ما لفظه:

وقد دعتهم أنفسهم (النصارى) فى سلطنة الملك العادل نور الدين الشهيد[١] إلى أمر عظيم ظنوا أنه يتم لهم؛ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وذلك أن السلطان المذكور، كان له تهجد يأتى به بالليل، وأوراد يأتى بها، فنام عقب تهجده؛ فرأى النبى ﷺ فى نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين، ويقول: أنجدنى، أنقذنى من هذين!

فاستيقظ، وصلى، ونام، فرآه ﷺ مرة ثانية، وثالثة..، فاستيقظ، وقال: لم يبق نوم.

---

(١) هو مود بن عماد الدين، أبو القاسم نور الدين آل زنكى. ولد شوال سنة ٥١١هـ. انقسمت دولة الأتابكة بعد وفاة أبيه بينه وب أخيه، فتو حلب، وتو أخوه سيف الدين الغازى ا وصل. وامتد نفوز نور الدين إ ا وصل وا زيرة والشام ومصر وقونية. تو سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٤م) ودفن بقلعة دمشق، نقل ودفن بزاوية مدرسته (النورية) بسوق (ا واص) بدمشق. وقـ ه معروف مشهور.

وكان له وزير من الصالحين، يقال له جمال الدين الموصلى، فأرسل خلفه ليلاً، وحكى له جميع ما اتفق له، فقال له: وما قعودك؟ اخرج الآن إلى المدينة المنورة، واكتم ما رأيت.

فتجهز نور الدين فى بقية ليلته، وخرج على رواحل خفيفة، فى عشرين نفرًا، وصحبته الوزير المذكور؛ ومال كثير.

فقدم المدينة فى ستة عشر يومًا، فاغتسل خارجها، ودخل فصلى بالروضة الشريفة، وزار ..، ثم جلس لا يدرى ماذا يصنع؟!

فقال الوزير — وقد اجتمع أهل المدينة فى المسجد:

إن السلطان قصد زيارة النبى ﷺ، وأحضر أموالاً للصدقة، فاكتبوا من عندكم. فكتبوا أهل المدينة كلهم، وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التى أراها النبى ﷺ له، فلا يجد تلك الصفة، فيعطيه ويأمره بالانصراف. إلى أن انفضت الناس.

فقال السلطان: هل بقى أحدكم لم يأخذ شيئًا من الصدقة؟

قالوا: لا.

فقال: تفكروا وتأملوا!

فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولون من أحد شيئًا، وهما صالحان، يكثران الصدقة على المحاويج.

فانشرح صدره، وقال:

علىّ بهما.

فأتِى بهما، فرآهما الرجلين اللذين أشار النبى ﷺ إليهما بقوله: أنجدنى، أنقذنى من هذين!

فقال لهما: من أنتما؟

فقالا: من بلاد المغرب. جئنا حاجين، فاخترنا المجاورة فى هذا العام عند رسول الله ﷺ.

فقال: اصدقانى!

فصمَّما على ذلك.

فقال: أين منزلهما؟

فأخبر بأنهما فى (رباط الغرب) بقرب الحجرة الشريفة، فأمسكهما وحضر إلى منزلهما، فرأى فيه مالاً كثيرًا، وكتبًا فى الرقائق[1]، ولم ير فيه شيئًا غير ذلك! فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير، وقالوا: إنهما صائمان الدهر، ملازمان الصلوات فى (الروضة الشريفة) وزيارة النبى ﷺ وزيارة البقيع كل يوم بكرة، وزيارة قباء كل سبت، ولا يردان سائلاً قط، بحيث سدَّا خُلَّة أهل المدينة فى هذا العام المجدب.

فقال السلطان:

سبحان الله!

---

(١) الرقائق: كتب توى على نوادر وطرائف ومواعظ الزهد والزهاد.

ولم يظهر شيئًا فيما رآه، وبقى السلطان يطوف فى البيت نفسه، فرفع حصيرًا فى البيت، فرأى سردابًا محفورًا ينتهى إلى صوب الحجرة الشريفة!

فارتاعت الناس لذلك، وقال السلطان عند ذلك:

اصدقانى حالكما.

وضربهما ضربًا شديدًا، فاعترفا بأنهما نصرانيان، بعثهما النصارى فى زى حجاج المغاربة، وأمالوهما بأموالٍ عظيمة، وأمروهما بالتحيل فى شىء عظيم، خيلته له أنفسهم، وتوهموا أن يمكنهم الله منه، وهو الوصول إلى الجناب الشريف، ويفعلوا به ما زينه لهم إبليس فى النقل، وما يترتب عليه، فنزلا فى أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة، وفعلا ما تقدم، وصارا يحفران ليلاً، ولكل منهما محفظة جلد على زى المغاربة، والذى يجتمع من التراب يجعله كل منهما فى محفظته؛ ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيلقيانه بين القبور.

وأقاما على ذلك مدة..، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت، وحصل رجيف عظيم، بحيث خيل انقلاع تلك الجبال، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة.

واتفق إمساكهما واعترافهما. فلما اعترفا وظهر حالهما على يديه، ورأى تأهيل الله تعالى له لذلك دون غيره بكى بكاءً شديدًا، وأمر بضرب رقابهما، فقتلا تحت الشباك الذى يلى الحجرة الشريفة، وهو مما يلى البقيع.

ثم عاد إلى مكة، وأمر بإضعاف النصارى، وأمر أن لا يستعمل كافر على عمل من الأعمال، وأمر مع ذلك بقطع المكوس[١] جميعها.

ويقول الأستاذ محمد إلياس عبد الغنى[٢]:

---

(١) ا لكوس: الضرائب.

(٢) كتابه (تاريخ ا لسجد النبوى الشريف)، ص : ١٧٧.

وقد أشار إلى ذلك (الجمال المطرى) باختصار، ولم يذكر عمل الخندق حول الحجرة ومسبك الرصاص به، لكن بيّن السنة التى وقع فيها ذلك، ومع مخالفة لبعض ما تقدم.

فقال فى الكلام على سور المدينة المحيط بها اليوم:

وصل السلطان نور الدين محمود بن زنكى فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها، ذكرها الناس، وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبى بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد، عمن حدثه من أكابر من أدرك - أن السلطان (محمود) المذكور رأى النبى ﷺ، ثلاث مرات فى ليلة واحدة، وهو يقول فى كل واحدة: يا محمود، أنقذنى من هذين الشخصين الأشقرين - تجاهه.

فاستحضر وزيره قبل الصبح، فذكر له ذلك، فقال له: هذا أمر فى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم.

فتجهز، وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل، وغير ذلك، حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها، والوزير معه، وجلس فى المسجد لا يدرى ما يصنع!

فقال له الوزير: أتعرف هذين الشخصين إذا رأيتهما؟

قال: نعم.

فطلب الناس عامة للصدقة، وفرق عليهم ذهبًا كثيرًا وفضة؛ وقال: لا يبقين أحد فى المدينة إلا جاء!

فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان فى الناحية التى قبلة حجرة النبى ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب التى تعرف اليوم بدار العشرة، فطلبهما للصدقة، فامتنعا وقالا: نحن على كفاية، ما نقبل شيئًا.

فجد فى طلبهما، فجيء بهما، فلما رآهما قال للوزير: هما هذان!

فسألهما عن حالهما وما جاء بهما؟ فقالا: لمجاورة النبى ﷺ، فقال: اصدقانى! وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما، فأقرّا أنهما من النصارى، وأنهما وصلا لكى ينقلا مَن فى هذه الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهم!

ووجدهما قد حفرا نقبًا تحت الأرض من تحت المسجد القبلى، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة، ويجعلان التراب فى بئر عندهما فى البيت (الذى) هما فيه.

هكذا حدثنى عمن حدثه.

فضرب أعناقهما عند الشبّاك الذى فى شرقى حجرة النبى ﷺ، خارج المسجد، ثم أحرقا بالنار آخر النهار، وركب متوجهاً إلى الشام.

ويتابع الأستاذ: محمد إلياس عبد الغنى الحديث، فيقول:

وقد ساق المجد هذه الواقعة على الوجه الذى ذكره المطرى، فقال:

ومن الحوادث فى المسجد الشريف ما نقله جماعة من مشايخ المدينة وعلمائها .... وذكر ما تقدم.

وكذلك الزين المراغى، ذكر ما تقدم عن المطرى نقلاً عنه، وزاد أن وزير السلطان نور الدين الذى استحضره وذكر له القصة هو الموفق خالد بن محمد بن نصر القيسرانى، الشاعر. قال: وكان موفقًا!

ومأخذه فى ذلك — كما رأيته فى حاشية بخطه على كتابه — أن الذهبى قال فى ترجمة (الموفق) هذا: موفق الدين، أبو البقاء، صاحب الخط المنسوب، وكان صدرًا، نبيلاً، وافر الحشمة، وزرَ للسلطان نور الدين، توفى بحلب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

بناء السور الرصاصى حول القبور الشريفة:

ولقد كانت هذه المحاولة والمحاولات التى سبقت حافزًا للسلطان نور الدين – عليه الرحمه – أن يحصن القبور الشريفة بسور رصاصى متين، كى لا يتمكن أى زنديق أو حاقد مُخرب من العودة إلى استخدام أسلوب الأنفاق والسراديب، فى مثل هذه المحاولات.

وقد تم له ذلك - بفضل من الله ونعمة - إذ لم يتجرأ أحد بعدها على تكرار هذه المحاولات وأمثالها.

ملامح السور:

أمر السلطان نور الدين بحفر خندق عميق يبلغ الماء، حول الحجرة الشريفة، وصب فيه الرصاص بين أحجار ضخمة مربوطة بكتل من الحديد، فأصبح الوضع بعد تمامه ثلاثة جدر، جدار قائم على الماء، مربوطة أحجاره بالحديد، وأحجاره متداخلة بعضها فى بعض، كأنها الشِّباك، وجدار آخر أمامه يشبهه تمامًا فى الشكل والوضع والعمق، وصب

رصاصى بين الجدارين على شكل قوالب الأحجار، فشكل الرصاص بهذه الطريقة جدارًا ثالثًا، فصارت ثلاثة جدر محيطة بالحجرة الشريفة.

قال ذلك الخيارى فى كتابة (تاريخ معالم المدينة المنورة).

أما السمهودى وغيره من قدامى المؤرخين فلم يذكروا هذا التفصيل، بل قالوا:

أمر السلطان بإحضار رصاص عظيم، وحفر خندقًا عظيمًا إلى الماء، حول الحجرة الشريفةكلها، وأذيب الرصاص، وملئ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سورًا رصاصًا إلى الماء؛ حتى لا يتمكن أحد من العودة إلى مثل هذه المحاولة[1].

دار الضيافة:

---

(١) وفاء الوفا، ٦٠/٢، ومرآة ا رم ٤٧٤/١.

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن الدار التى أقام فيها السلطان نور الدين لتوزيع المنح والأعطيات على أهل المدينة عرفت بدار الضيافة. وكانت موجودة شمالى المسجد النبوى الشريف، خارج باب عمر بن الخطاب، إلى أن هدمت أثناء التوسعة السعودية الثانية(١)، وضمت إلى المسجد.

أما الموضع الذى كان يجمع فيه الرصاص ويذوب، فكان على بعد خطوات من باب السلام، وظل معروفًا بسقيفة الرصاص، إلى أن تهدم أثناء حريق سوق القماشة، يوم الإثنين الموافق الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ.

المحاولة الرابعة

---

(١) عهد خادم ا رم الشريف ، ا لك فهد بن عبد العزيز.

يحدثنا عن هذه المحاولة الرابعة ابن جبير الرحالة، وذلك بعد وصوله إلى الإسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة (٥٧٨ هـ)، ومكث فيها حتى يوم الأحد الثامن من ذى الحجة[٢].

قال: لما حللنا الإسكندرية فى الشهر المؤرخ أولاً، عاينا مجتمعًا من الناس عظيمًا، بروزًا لمعاينة أسرى من الروم، أدخلوا البلد راكبين على الجمال، ووجوههم إلى أذنابهم، وحولهم الطبول والأبواق.

فسألنا عن قصتهم، فأخبرنا بأمر تتفطر له الأكباد إشفاقًا وجزعًا.

وذلك أن جملة من نصارى الشام اجتمعوا وأنشأوا مراكب فى أقرب المواضع التى لهم فى بحر القلزم[١]، ثم حملوا أنقاضها على جمال العرب

---

(٢) رحلة ابن جب ، ص: ١٢.

(١) ر القلزم: البحر الأ ر.

المجاورين لهم، بكِراءٍ اتفقوا معهم عليه، فلما حصلوا بساحل البحر، سمّروا مراكبهم وأكملوا إنشاءها وتأليفها[٢] ودفعوها فى البحر، وركبوها قاطعين بالحجاج، وانتهوا إلى بحر النعم، فأحرقوا فيه نحو ستة عشر مركبًا، وانتهوا إلى عيذاب[٣]، فأخذوا منها مركبًا كان يأتى بالحجاج من جدة، وأخذوا أيضًا فى البر قافلة كبيرة تأتى من قوص[٤] إلى عيذاب، وقتلوا الجميع ولم يحيوا أحدًا، وأخذوا مركبين مقبلين بتجار من اليمن، وأحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لمسيرة مكة والمدينة أعزهما الله، وأحدثوا حوادث شنيعة لم يسمع مثلها فى الإسلام!

---

(٢) تأليفها: معها إ بعض .

(٣) بلد صغ على ضفة البحر الأ ر، مرسى ا راكب ال تقدم من عدن إ الصعيد (معجم البلدان).

(٤) قوص: إحدى مدن الصعيد.

ومن أعظمها حادثة تسد المسامع شناعة وبشاعة؛ وذلك أنهم كانوا عازمين على دخول مدينة رسول الله ﷺ، وإخراجه من الضريح المقدس، أشاعوا ذلك، وأجروا ذكره على ألسنتهم، فأخذهم الله باجترائهم عليه وتعاطيهم ما تحول عناية القدر بينهم وبينه.

ولم يكن بينهم وبين المدينة أكثر من مسيرة يوم، فدفع الله عاديتهم بمراكب عمرت من مصر والإسكندرية، دخل فيها الحاجب المعروف بلؤلؤ مع أنجاد المغاربة البحريين؛ فلحقوا العدو وقد قارب النجاة بنفسه، فأخِذوا عن آخرهم.

وكانت آية من آيات العنايات الجبارية، وأدركوهم عن مدة طويلة كانت بينهم من الزمان، نيّف على شهر ونصف، أو حوله.

وقتلوا وأسروا، وفرق من الأسارى على البلاد ليقتلوا بها، ووجه منهم إلى مكة والمدينة؛ وكفى الله بجميل صنعه الإسلام والمسلمين أمرًا عظيمًا. والحمد لله رب العالمين[١].

المحاولة الخامسة:

ذكرها المحب الطبرى فى كتابه (الرياض النضرة فى فضائل العشرة)[١]، قال:

أخبرنا هارون ابن الشيخ عمر بن الزغب — وهو ثقة صدوق، مشهور بالخير والصلاح والعبادة، عن أبيه، وكان من الرجال الكبار، قال:

كنت مجاورًا بالمدينة المنورة، وشيخُ خدّام النبى ﷺ إذ ذاك شمس الدين صواب اللمطى[٢]، وكان رجلاً صالحًا كثير البر بالفقراء، والشفقة

---

(١) رحلة ابن جبـ ، ص:٣١،٣٢.

(١) العشرة ا بشرون با نة.

عليهم؛ وكان بيني وبينه أنس، فقال لي يومًا: أخبرك بعجيبة! كان لي صاحب يجلس عند الأمير، ويأتيني من خبره بما تمس حاجتي إليه، فبينما أنا ذات يوم إذ جاءني فقال: أمر عظيم حدث اليوم! قلت: وما هو؟! قال: جاء قوم من أهل حلب، وبذلوا للأمير بذلاً كثيرًا، وسألوه أن يمكنهم من فتح الحجرة الشريفة وإخراج أبي بكر وعمر — رضي الله عنهما — منها، فأجابهم على هذا.

قال صواب: فاهتممت لذلك هما عظيمًا؛ فلم أنشب أن جاء رسول الأمير يدعوني إليه، فأجبته. فقال لي: يا صواب، يدق عليك الليلة أقوام المسجد، فافتح لهم، ومكنهم مما أرادوا ولا تعارضهم، ولا تعترض عليهم.

قال: فقلت له: سمعًا وطاعة.

---

(٢) صواب الشمس اللمطي – شيخ ا دام – ذكر السخاوي حكايته والثناء عليه ضمن تر ة هارون بن الزغب. (التحفة الطبقية، ٢٤٧/٢، تر ة رقم ١٨٢٩).

قال: وخرجت ولم أزل يومى أجمع خلف الحجرة الشريفة أبكى، لا ترقأ لى دمعة، ولا يشعر أحد ما بى، حتى إذا كان الليل وصلينا العشاء الآخرة، وخرج الناس من المسجد، وغلقنا الأبواب، فلم ننشب أن دُق الباب الذى حذاء باب الأمير، أى: باب السلام، فإن الأمير كان سكنه حينئذ بالحصن العتيق.

قال: ففتحت الباب، فدخل أربعون رجلاً أعدهم واحدًا بعد واحدٍ، ومعهم المساحى والمكاتل[1] والشموع، وآلات الهدم والحفر.

قال: وقصدوا الحجرة الشريفة، فوالله ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الأرض جميعهم، بجميع ما كان معهم من آلات، ولم يبق لهم أثر.

قال: فاستبطأ الأمير خبرهم، فدعانى وقال: يا صواب، ألم يأتك القوم؟!

قلت: بلى، ولكن اتفق لهم ما هو كيت وكيت!

---

(١) ا ساحى: ا عاول. وا كاتل: القفف.

قال: انظر ما تقول! قلت: هو ذلك. وقم فانظر هل ترى منهم باقية، أو لهم أثرًا؟

فقال: هذا موضع هذا الحديث، وإن ظهر منك كان يُقطع رأسك!

ثم خرجت عنه.

قال المحب الطبرى: فلما وعيت هذه الحكاية عن هارون حكيتها لجماعة من الأصحاب، فيهم من أثق بحديثه، فقال: وأنا كنت حاضرًا فى بعض الأيام عند الشيخ أبى عبد الله القرطبى بالمدينة، والشيخ شمس الدين صواب يحكى له هذه الحكاية. سمعتها بأذنى من فيه.

قال السمهودى فى (وفاء الوفا ٢/٦٥٤،٦٥٣):

وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن أبى عبد الله بن أبى محمد المسرجانى هذه الواقعة باختصار فى تاريخ المدينة له. وقال: سمعتها من والدى، يعنى الإمام الجليل أبا عبد الله المسرجانى، قال: وقال لى: سمعتها من والدى أبى

محمد المسرجانى، سمعها من خادم الحجرة، قال أبو عبد الله المسرجانى: ثم سمعتها أنا من خادم الحجرة الشريفة، وذكر نحو ما تقدم، إلا أنه قال: فدخل خمسة عشر - أو قال: عشرون - رجلاً بالمساحى، فما مشوا غير خطوة أو خطوتين.. وابتلعتهم الأرض. ولم يسمِّ الخادم، والله أعلم.

ويقول الأستاذ محمد إلياس عبد الغنى[1]:

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المحاولة كانت فى منتصف القرن السابع الهجرى، ويدل على ذلك قوله[2] بعد ذكر هذه القصة:

وأما أهل بغداد فقد تقدم فى (الباب) الاعتذار عنهم بأنهم كانوا مشغولين بما داهمهم من أمر التتار، فلذلك لم يرد جوابهم عن هذا الأمر[3].

---

(١) تاريخ ا سجد النبوى الشريف، ص: ١٨٤/١٨٣.
(٢) الضم : قوله، يعود إ السمهودى.
(٣) الوفا ا ب ضرة ا صطفى، ص: ١٥٣.

فعلم أن هذه المحاولة كانت عند انشغال العباسيين بأمر التتار، ومعلوم أن ذلك كان فى منتصف القرن السابع الهجرى(٤).

وإنه لمن الغريب حقًّا أن يأتى ناس علنًا بقصد إخراج أجساد الشيخين، جيران رسول الله ﷺ، ويلاحظ أن هؤلاء الناس لم يستخدموا فى هذه المحاولة أسلوب السرداب كما سبق ضمن بعض المحاولات؛ لأن السور الرصاصى الموجود دخول القبور الشريفة حال دونهم، فلجأوا إلى مؤامرة علنية لدخول الحجرة الشريفة، وحفر القبور المباركة، بكل مكر ودهاء، وبالتعاون مع أمير المدينة آنذاك. وقد باءت هذه المحاولة بالفشل، وحفظ الله جيران رسول الله ﷺ فى القبور الشريفة.

---

(٤) البداية والنهاية، لابن كثـ ، ٢١٣/١٣.

إيضاح لا بد منه:

يظـن أكثـر النـاس الزائـرين للمسـجد النبـوى الشـريف، ووقـوفهم عنـد المقصورة للسلام على رسول الله ﷺ وصـاحبيه – رضـى الله عنهمـا – أنـهم أمام الحجرة النبوية الشريفة مباشرة!

والحقيقـة أن هـذا الاسـم (المقصـورة) هـو للسـور الـدائر حـول الحـائز المخمس الذى بناه عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنـه – حـول الحجـرة الشريفة، التى تضم القبور المباركة.

ويلاحظها الزائر فى زاوية المسجد الجنوبية الشرقية، مسورة بسور من النحاس والحديد، وطول كل ضلع من ضلعيها الجنوبى والشمالى ستة عشر مترًا، وكل ضلع من ضلعيها الشرقى والغربى خمسة عشر مترًا.

وأول من أحدث هذا السور بين الأساطين التى تلى الحجرة الشريفة السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس[1] سنة ثمان وستين وستمائة (٦٦٨هـ)، وكان من خشب، وكان ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار ونصف (قامتين تقريبًا).

ثم زاد عليه الملك زين الدين كتبغا[1] سنة أربع وتسعين وستمائة (٦٩٤هـ) شباكًا دائرًا عليه، ورفعه حتى وصله بسقف المسجد.

وبعد أن احترقت هذه المقصورة الخشبية فى الحريق الثانى للمسجد عام ست وثمانين وثمانمائة (٨٨٦ هـ)، أرسل السلطان قايتباى هذه الشبابيك النحاسية والحديدية، مع المحمل، فى شهر شوال سنة ثمان وثمانين

---

(١) هو السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس. البندقدارى. ولد سنة (٦٢٠هـ)، وحكم من سنة (٦٥٨هـ) حتى وفاته سنة (٦٧٦هـ).

(١) هو السلطان زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصورى، من ملوك المماليك البحرية، وكان شجاعا دينا، ولد سنة (٦٣٩هـ) وحكم مصر من سنة (٦٩٤هـ) حتى سنة (٦٩٦هـ) وتوفى سنة (٧٠٢هـ).

وثمانمائة (٨٨٨هـ)؛ ووزنها أربعمائة قنطارًا (١٧,٨١٧كلج)، حملها إلى المدينة المنورة سبعون جملاً، فنصبت الشبابيك النحاسية فى الجهة القبلية، ونصبت فى الجهة الشرقية والغربية والشمالية شبابيك الحديد المصبوغ باللون الأخضر، وعلى كل شباك شبكة شريط النحاس لمنع الحمام[٢].

وقد أحدث حاجز بشبكة حديد داخل المقصورة الشريفة بين بيت السيدة فاطمة الزهراء — رضى الله عنها — وبين بيت السيدة عائشة — أم المؤمنين — رضى الله عنها، فصارت الرحبة التى عند مثلث الحجرة من الجهة الشمالية كأنها مقصورة مستقلة، طولها من الضلع الجنوبى والشمالى أربعة عشر مترًا، ومن الشرق والغرب سبعة أمتار، ولها بابان على يمين المثلث ويساره[١].

---

(٢) خلاصة الوفا، ٣٠١،٣٠٢، مرآة ا رم ، ٤٧٥/١، ٤٧٦.
(١) نزهة الناظرين، ص: ٧٥. وصف ا دينة ا نورة، ص: ٦٧.

وما زالت المقصورة على بنائها القديم، منذ عهد السلطان قايتباى. وقد مضى عليها أكثر من خمسة قرون، كما هو مدون بأعلى الباب الغربى من المقصورة:

أنشأ هذه المقصورة الشريفة سيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى - عام ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية.

وقد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة، وأبوابها بأبواب الحجرة، وما يعلق بداخلها من القناديل بقناديل الحجرة ... جرى بذلك العرف.

والجهة القبلية منها تعرف بالمواجهة الشريفة؛ وهى الآن موقف الزائرين المسلمين على رسول الله ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما.

الترميمات

ولقد قام السلطان العثمانى سليمان خان بترميم الحجرة الشريفة بالرخام، أثناء خلافته، ما بين سنوات ٩٢٦ – ٩٤٨هـ.

كما أجريت ترميمات أخرى أيام الملك عبد العزيز آل سعود وقد أبلغ عن وجود تشققات فى الدهان، فجرى الكشف عليها، وأعيد إليها رُواؤها.

أبواب المقصورة الشريفة

للمقصورة الشريفة أربعة أبواب، هى:

١ – باب قبلى (جنوبى)، يسمى باب التوبة، عليه صفيحة فضية مرقوم عليها تاريخ صنعتها، سنة (١٠٢٦هـ)، وهى هدية من السلطان العثمانى أحمد الأول.

٢ – باب من ناحية الغرب، ويعرف بباب الوفود؛ لأنه يلى أسطوانة الوفود.

٣ – باب من ناحية الشرق، ويعرف بباب فاطمة؛ لأنه قريب من الموضع الذى كان فيه بيتها.

وهذه الأبواب الثلاثة موجودة منذ عام (٦٦٨هـ)[1].

٤ – باب من ناحية الشمال، ويعرف بباب التهجد؛ لأنه قريب من مصلى التهجد؛ وقد استحدث سنة تسع وعشرين وسبعمائة (٧٢٩هـ) عند زيادة الرواقين فى الجهة الشمالية.

وهذه الأبواب مغلقة الآن، ما عدا الباب الشرقى؛ فإنه يفتح للأعيان والوفود الرسمية، حسب النظام المتبع.

وكل من يتشرف بالدخول من هذا الباب فإنه يدخل المقصورة الشريفة، ولا يمكنه الدخول فى الحائز المخمس، الدائر على الحجرة النبوية، التى

---

(١) نزهة الناظرين، ص: ٧٥.

تضم القبور المباركة؛ إذ ليس للحائز المخمس – كما سبق وذكرنا – باب يدخل منه.

صرح بذلك صاحب (التحفة اللطيفة)[1]وقال أيضًا:

واعلم أن (الأغوات)[2] وغيرهم لا يعرفون ما وراء الستار الشريف المعلق على الحائز المخمس المحيط بالمراقد الشريفة، التى ليس لها منفس إلا كوة صغيرة فى أعلى الحجرة.

القبة الخضراء وقبة الحجرة الشريفة:

---

(١) التحفة اللطيفة، عمارة ا سجد النبوى وسور ا دينة الشريفة، ص: ٦٩.

(٢) اسم يطلق على موعة من الأفارقة أو غ هـم مـن ذوى البشـرة السـوداء، يقومون دمة ا قصورة الشريفة.

القبة الخضراء هى القبة الكبيرة الخضراء اللون، الظاهرة على سطح المسجد، أول من بناها السلطان المنصور قلاوون الصالحى؛ وذلك فى أواخر القرن السابع الهجرى، ثم أعيد بناؤها بعد أن احترقت سنة (٨٨٦ هـ) فى عهد السلطان قايتباى.

وفى عام (١٢٣٣هـ) بناها السلطان محمود خان، العثمانى. وما زالت القبة على بنائه حتى يومنا هذا.

أما قبة الحجرة الشريفة – الصغيرة – فقد بنيت على الحجرة الشريفة تحت سقف المسجد، وقد بناها السلطان قايتباى بدلاً من السقف الخشبى للحجرة الشريفة، وذلك فى أواخر القرن التاسع الهجرى.

إن القبة الكبيرة – الخضراء – المحاذية للحجرة الشريفة بأعلى سطح المسجد لم تكن موجودة حتى سنة ثمان وسبعين وستمائة (٦٧٨هـ)، بل كان

قديمًا حول ما يوازى الحجرة فى سطح المسجد حظيرة من آجرٍ، مقدار نصف قامة، تمييزًا لها عن بقية سطح المسجد.

وفى سنة (٦٧٨هـ) أمر السلطان المنصور قلاوون الصالحى ببناء قبة على الحجرة الشريفة، فعملت قبة مربعة الأضلاع من أسفلها، مثمَّنة من أعلاها، بأخشاب أقيمت على رؤوس السوارى المحيطة بالحجرة الشريفة، وسمّرت عليها ألواح من خشبٍ، وسمر على الألواح رقائق الرصاص؛ منعًا لدخول مياه الأمطار إلى الحجرة الشريفة.

ومبدأ هذه القبة من سقف المسجد، وكان حول هذه القبة عند السطح الأعلى ألواح رصاص مفروشة فيما قَرُب منها.

ويحيط بها وبالقبة درابزين من الخشب، جُعل مكان حظير الآجر الذى كان سابقًا. وقد جددت هذه القبة أيام السلطان الناصر حسن قلاوون

الصـالحى، ثـم اختلـت الألـواح، فجـددت أيـام الأشـرف سـنة خمـس وسـتين وسبعمائة للهجرة (٧٦٥هـ)[١].

التجديد الأول:

وفى عهد السلطان قايتبـاى احترقت القبـة أثنـاء الحريـق الثـانى للمسـجد سـنة سـت وثمـانين وثمانمائـة (٨٨٦هــ)؛ فـرأى مُتـولى العمـارة أن تكـون متناهيـة فـى العلـو، وأن تكـون مـن آجـر بـدلاً مـن الخشـب، وأن تؤسـس لهـا دعائم جديدة قوية بأرض المسجد، وعقودٌ حولها، فأحدِث دعامتان عن يمـين مثلث الحجرة ويساره.

ثم لما تم بناء هذه القبـة تشـققت أعاليهـا، ولـم ينفـع التـرميم فيهـا، ففـوض السلطان الأشـرف قايتبـاى أمـر القبـة للشـجاعى، شـاهين الجمـالى، فاقتضـى الرأى بعد مراجعة أهل الخبرة بهدم أعالى القبة، وإعادة بنائهـا مـع الإحكـام،

---

(١) وفاء الوفا، ٢/٦٠٨ ، ٦٠٩، وخلاصة الوفا، ص: ٣٠٤، ٣٠٥.

بحيث اتخذ فى بنائها الجبس الأبيض، حمله معه من مصر، فجاءت متقنة، وكان ذلك فى عام اثنين وتسعين وثمانمائة (٨٩٢ هـ)[(١)].

التجديد الثانى:

ثم كان هناك تجديد ثان للقبة. ففى القرن الثالث عشر الهجرى أفاد البرزنجى عن حدوث شقوق فى أعلى القبة، وذلك فى عهد السلطان محمد بن عبد الحميد خان - العثمانى – فأمر بتجديدها، فهدم أعلاها، وأعيد بناؤه فى غاية الإحكام والإتقان – مع غاية الخشوع وسلوك الأدب – من غير دق عنيف، بعد أن جعلوا حاجزًا من ألواح خشب بينها وبين القبة الصغيرة السفلى، بحيث لم يسقط شىء من الأتربة وما شابه على القبة الصغيرة، ولا فى المسجد أو الحجرة الشريفة.

---

(١) وفاء الوفا، ٦٠٨/٢ ، ٦٠٩، وخلاصة الوفا، ص ٣٠٤ ، ٣٠٦.

وقد عمل فى هذه العمارة أكثر من أدركها من أهل المدينة وأولادهم تبركًا.

وبعد تمام بنائها على أحسن مما كانت عليه، وردت من الآستانة العطايا السلطانية السخية لمن عمل بها من أهل المدينة، فقسمت بينهم بالسوية. وكان ذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة (١٢٣٣هـ).

ثم فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف (١٢٥٣هـ) أمر السلطان محمود بطلائها باللون الأخضر، فكان أول من صبغ القبة الشريفة بهذا اللون المميز، وكان لونها قبل ذلك أزرق، على لون ألواح الرصاص التى صفحت بها، ثم لم يزل يجدد اللون كلما دعت الحاجة إلى ذلك من تأثير شعاع الشمس وغيرها من العوامل الطبيعية.

ولذلك تعرف الآن (بالقبة الخضراء)، وكانت تعرف قديمًا بمسميات، منها: القبة البيضاء، والزرقاء، والفيحاء[١].

وفى العمارة (المجيدية) – أيام السلطان عبد المجيد خان – العثمانى (١٢٦٥هـ) - لم يتعرض العاملون للدعائم والأساطين التى حول الحجرة الشريفة، من الجهة التى إليها المقصورة، غير أنهم قرنوا إلى كل دعامة، قدر ما يقابلها من الأساطين، زيادة فى الإحكام[٢].

صورة حية:

فى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى (١٢٩٦هـ) سقط شباك من شبابيك القبة، وتم التعمير بعد أن صدر المرسوم من (الآستانة).

وينقل لنا البرزنجى صورة حية لما حدث، فيقول:

---

(١) نزهة الناظرين، ص: ٧٧، ومرآة ا رم ،٤٧٤/١، فصول من تاريخ ا دينة، ١١٦.

(٢) نزهة الناظرين، ص: ٣٠.

ثم فى شهر شعبان سنة ألف ومائتين وست وتسعين (١٢٩٦هـ) هبت ريح عاصف، سقط لشدتها شباك كبير من شبابيك القبة الكبيرة، من الجهة الشرقية، إلى جوف الحجرة الشريفة، فبادر شيخ الحرم إلى الكشف عن ذلك، وجمع ناسًا من العلماء، كنت أنا ومفتى الأحناف من جملتهم، فرقينا سطح المسجد الشريف للاطلاع على موقع الشباك المذكور، فاغتنمت الفرصة لرؤية الحجرة الشريفة من أعلاها، ثم أطمحت بصرى إلى داخل القبة الكبيرة فرأيتها فى غاية الحسن والارتفاع، مزينة بنقوش ظريفة، عليها طراز فيه كتابة بخط جلى لم يمكننى إلا قراءة ما قابلنى من جهتها القريبة، وهو:

(أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير، الراجى عفو ربه القدير "قايتباى").

ووجدت عدد شبابيك القبة الكبيرة وطاقاتها ستًا وسبعين!

وقد انعقد المجلس بعد الكشف على تلك الطاقات والشبابيك، وظهور الخراب فى بعضها، ورفع التقرير إلى السلطان عبد الحميد خان، مع ما يلزم جلبه من الآستانة العلية من المؤن، كالزجاج ونحوه، فصدر المرسوم بتعمير الشبابيك وترميمها سنة سبع وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٧هـ)[١].

قبة الحجرة الشريفة:

وفى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة (٨٨١ هـ)، وبعد أن أنهى السلطان قايتباى بعض الترميمات فى المسجد النبوى الشريف والحجرة المطهرة – قبل الحريق الثانى – ارتأى إبدال السقف الخشبى للحجرة الشريفة بقبة لطيفة تحت سقف المسجد. فقام متولى العمارة برفع سقف المسجد، وعقدوا

---

(١) نزهة الناظرين، ص: ٧١.

قبوًا[٢] على نحو ثلث الحجرة من ناحية الغرب، وعقدوا القبة على جهة الرءوس الشريفة، بأحجار منحوته من الحجر الأسود، وكملوها من الحجر الأبيض، ونصبوا بأعلاها هلالاً من نحاس، وهو قريب من سقف المسجد الأول؛ فإن القبة المذكورة تحته، وبيضوا هذه القبة وجميع جدرانها من خارجها بالجص، وجاءت حسنة، فاض عليها أنس المحل الشريف.

وارتفاع القبة من أرض الحجرة الشريفة إلى محدَّب القبة – وهو أعلاها المغروز فيه الهلال – ثمانية عشر ذراعًا وربع ذراع (تسعة أمتار تقريبًا)[١]، وتم العمل بها فى السابع من شهر شوال سنة (٨٨٦هـ).

الكوة الصغيرة:

---

(٢) القبو: الطاق ا معقود بعضه إ بعض بشكل قوس.

(١) وفا الوفا، ٢-٦٢٨، ٦٣١، خلاصة الوفا، ص: ٣٠٦، ٣١١.

توجد فى أعلى القبة السفلى كوة صغيرة، حتى لا يكون بين القبر الشريف وبين السماء حائل، وإنما على تلك الكوة شبكة من السلك الخفيف، تمنع سقوط الحمام داخل القبة.

ونظير هذه الكوة كوة أخرى فى القبة الخضراء، فإذا توسطت الشمس وتمكنت منها، ونزلت أشعتها إلى الكوة الثانية، ومنها إلى القبر الشريف لحظة!

وأما المطر فإنه ينزل دائمًا إلى القبر من خلال الكوتين المذكورتين[٢].

وقد حدد لنا البرزنجى هذه الكوة فقال: وأما الكوة التى بأعلى القبة الخضراء من جهة القبلة فقد جعلوها فى محاذاة الكوة التى فتحت على القبر الشريف، وهى واضحة فى صورة القبة الملتقطة من جهة القبلة[١].

---

(٢) التحفة اللطيفة عمارة ا سجد النبوى، ص: ٦٩.

(١) نزهة الناظرين، ص: ٧٧.

وبعد، فهذا ما من الله به علينا من دراسة موجزة مركزة عن الحجرة النبوية الشريف، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وما أحاط بها عبر العصور من حوادث وأحداث، معتمدًا أولاً على الله تعالى، وعلى ما تيسر لى من مراجع قديمة وحديثة، بحيث أقدم للقارئ العزيز صورة واضحة صادقة.

والله تعالى أسأل أن يثيبنى على عملى هذا خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

كلمة من التاريخ وللتاريخ

توسعة خادم الحرمين الشريفين

جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - حفظه ا

ليسمح لى القارئ العزيز أن أحدثه حديثًا خاصًا قبل الولوج فى الموضوع واستيعابه، بإذن الله تعالى. وهذه الخصوصية ليست بمنأى عن البحث، بل هى من صميمه وصلبه، وهى بمثابة المقدمة لهذا الإنجاز العظيم.

لنعد إلى الوراء قليلاً، قرابة ثلاثة عقود من السنين، إذ شرفت بالقدوم إلى المدينة المنورة، واضطلعت بالعمل فى معهد المعلمين مدرسًا، وكان ذلك فى عام (١٩٦٩ – ١٩٧٠م)، وفى النفس والقلب ذكريات كثيرة عن تلك الأيام، سواء فى محيط العمل أو الصلات الاجتماعية.

وصلت المدينة المنورة فى منتصف شهر (أكتوبر) تشرين الأول، ونزلت فى فندق مطل على ساحة باب المجيدى، وإن لم تخنِّى الذاكرة فقد كان اسم الفندق قصر الحجاز. وأكثر الفنادق كانت آنذاك متقاربة، كلها فى محيط الحرم النبوى الشريف.

كان الوقت قريب العصر، فتوضأت ونزلت متوجهًا إلى المسجد الشريف، وأديت ركعتى تحية المسجد، ثم مضيت نحو الحجرة النبوية الشريفة، ويشهد الله أننى كنت فى حالة من الصفاء الروحى، نسيت معها كل المعاناة المادية التى ألمَّت بى من قبل، وكذلك إحساسى بثقل الجسد ووطأة القدمين ..، ولا أدرى من الذى كان يسوق بى نحو الحجرة الشريفة، وأنا أزور للمرة الأولى المسجد النبوى العظيم، الذى عشت فصوله على مر التاريخ، من الهجرة حتى يومنا هذا!

ووجدتنى واقفًا مُسلمًا ومصليًا، ودموعى تنهلُّ غزيرة، لم أعهدها من قبل، وفى أشد ساعات العسرة!

ولم أك لألِمَّ من الزيارة الأولى بكل معالم الحرم، أو أطلع على مكونات البناء، والأفياء، والأبواب، والمنارات، ومسميات بعضها أو كلها.

ومرت الأيام، ومع مرورها أزداد معرفة، فلم أكن لأنقطع يومًا عن الصلاة فيه، وأكثر ما كنت آتيه وقت صلاة المغرب والعشاء. وكان قدومى إليه عن طريق سوق يعرف بالعينية تتركز فيه معظم المحلات التجارية الضخمة؛ إذ كان سكنى مع عائلتى عند باب قبا[١]، قريبًا من مسجد الغمامة. وينتهى سوق العينية عند ساحة باب السلام!

ساحة مبلطة، تتناثر الدكاكين حولها على شكل نصف دائرة، ولها منافذ إلى سوق الصاغة، وقبلى الحرم إلى مكتبة عامة، ومن ناحية مقابلة إلى شارع ضيق، ترابى، كان يعرف بالساحة، أكثر أبنيته مساكن، وكذلك منفذ آخر من ساحة باب السلام إلى الحمامات، لقضاء الحاجة والوضوء، يصل

---

(١) يعرف الآن بطريق قبا الطالع.

بك هذا السوق الضيق إلى باب المجيدى، وعلى طوله تجد أكثر من باب للدخول إلى المسجد الشريف.

وساحة باب المجيدى – وقد جاء ذكرها من قبل – كانت أرحب الساحات حول المسجد الشريف، توجد فيها أسراب اليمام، وتسميتها منسوبة إلى السلطان العثمانى عبد المجيد، الذى كان له بعض الأيادى البيضاء؛ ومنها تتجه إلى شارع أبى ذر، رضى الله عنه، وإلى شارع الملك، أيضًا باتجاهين متعاكسين.

وشارع الملك كان يبدأ – على ما أذكر – عند مسجد الغمامة، وينتهى عند مستشفى الملك، قريبًا من باب الشامى، المتجه إلى طريقين أيضًا، أحدهما يصل بك إلى جبل أحد، حيث قبور شهداء يوم أحد رضى الله عنهم، والآخر يعرف بطريق سلطانة، وهو طريق الذاهب إلى الشام[١].

---

(١) لا تزال هذه الأ اء قائمة إ اليوم.

فإذا أردت الدخول إلى المسجد الشريف من باب المجيدى، قابلتك فى الداخل ساحتان كبيرتان، يمينًا ويسارًا، غير مسقوفتين، وأرضهما غير مبلطة، تعرف بالحصوات، نظرًا إلى أن أرضهما مفروشة بالحصى.

كانت أكثر صلواتى عند باب جبريل عليه السلام، بين الصُّفَّة والحجرة الشريفة. والصُّفَّة هى المكان الذى كان يأوى إليه فقراء المسلمين من الصحابة رضوان الله عليهم، الذى لم يكن لهم أهل ولا سكن. وكان عريفهم الصحابى الجليل، تلميذ المدرسة النبوية، أبا هريرة – رضى الله عنه – عبد الرحمن(١) بن صخر الدوسى.

وباب جبريل – عليه السلام – يفضى بك إلى أبنية ودور، كان يسكن فى واحدة منها الشيخ الجليل عبد العزيز بن صالح، قاضى قضاة المدينة، وإمام الحرم الشريف، رحمة الله عليه، وكان لى شرف زيارته فى داره

---

(١) (عبد الر ن) اه به رسول ا ﷺ .

مهنئًا بعيد الأضحى – فى تلك السنة – مع الإخوة: فضيلة الشيخ محمود محمد الصواف، أبى ماجد، والأخ محمد عمر الداعوق، رئيس جماعة عباد الرحمن فى لبنان.

وبإزاء تلك الدور شارع الملك عبد العزيز – عليه رحمة الله – باعث النهضة، وبانى الدولة، وموحد الديار، ومؤسس المملكة.

ومن خلف ذلك كله البقيع، حيث مدافن وقبور الكثير من صحابة رسول الله ﷺ، ومن آل بيته، والتابعين، رضى الله عنهم أجمعين.

ولم يكن البقيع آنذاك قد سُور. دخلته ذات يوم فى جنازة لدفن أحد الزملاء قد توفاه الله تعالى، فكان من حظه أن دفن فى (طيبة) الطيبة، مجاورًا لسيد الخلق وحبيب الحق، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه.

كان البقيع أشبه بأرض فسيحة تتناثر فيها الحجارة هنا وهناك[١]، كمعالم للقبور والمدافن، لا ترى فيها قبورًا قد سُنِّمت، أو سُوِّيت عاليةً من رخام وغيره، ووضعت لها الشواهد تحمل آيات من القرآن الكريم، وأسماء أصحابها، أو أبياتًا من الشعر. كذلك تاريخ وفاة صاحب الرمس[٢]. . . ، وهذا كله يذكر بالسنة المطهرة، وصفاء الإسلام الحنيف.

وكثيرًا ما كنت آتى مسجد قباء، أول مساجد الإسلام، وأنتظر ما بين المغرب والعشاء فى الساحة الدائرية حول (بئر الخاتم)، أحتسى بعض أقداح الشاى، مع الرفاق والزملاء، فى تلك المقاهى البسيطة، المتواضعة جدًّا!

---

(١) سور البقيع اليوم، ورفعت جدرانه، ورصفت أرصفته.

(٢) كما هو منتشر   كل أ اء العا الإسلامى .

أما المسجد فكان ما يزال على شيء من القدم، اللهم ما كان من بعض الإصلاحات والترميمات، حيث تنتصب العوارض الخشبية (السقالات)، ويكثر الغبار والأتربة.

أما قباء نفسها، فكانت عبارة عن بعض البيوت، منها المتواضع، وهى بيوت العاملين فى الزراعة، ومنها الكبير الشامخ لأصحاب الأرض وكبار الملاك، والأرض فى قباء خصبة، كثيرة العطاء، حيث تتوافر عين الزرقاء التى كانت مشرب أهل المدينة، وهى عذبة طيبة.

وقدر لى فى موسم الحج من العام نفسه أن أزور مع بعض إخوانى القادمين لأداء الفريضة من بلدى - كثيرًا من المزارات التى لم أكن قد زرتها من قبل، أو لم يتهيأ لى ذلك. وأبرزها مسجد القبلتين.

كان فى ذلك الحين عبارة عن بناء متواضع جدًا، وصغير المساحة، له سلم حجرى يصعد بنا إليه. صلينا فيه لله تعالى ركعات، وتذكرنا وتحاورنا

حول التسمية، ونزول قول الله تعالى ﴿قد نرى تقلُّب وجهك فى السماء فلنولِّيَنَّك قبلةً ترضاها فوَلِّ وجهَك شَطْرَ المسجد الحرام وحيثُ ما كنتم فولُّوا وجوهَكم شَطرَه﴾. وكان ذلك ليلة النصف من شعبان، فى السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة.

والمصليات السبع، تلك الشواهد على يوم الخندق، أو الأحزاب، الخندق الذى حفره المسلمون ما بين سلع وأحد، وما عاناه المسلمون يومئذ فى ظروف قاسية مريرة، بين عدُوَّين: قريش ومن لف لفها من الأمام، وبنى قريظة الذين نقضوا عهد رسول الله ﷺ من الوراء!

كان يقوم على إدارة معهد المعلمين الذى عملت فيه الشيخ سامى الفقيه، الذى لا أنسى أدبه الجم، وسمو أخلاقه، ورجاحة عقله، وحسن إدارته.

زرته فى منزله يوم عيد الأضحى مهنئًا ومباركًا، وكان من تلطفه يوم ذاك أن عرفنى بوالده المفضال الشيخ جعفر الفقيه، الذى تلطف وتودد

وتحبب، وتباسط معنا فى الحديث، ثم أطلعنى على مجموعة من الخرائط، تبين التوسعات المقترحة على المسجد النبوى الشريف، وكذلك التصاميم، بقياساتها وأبعادها وأطوالها، ولم ألم بها تفصيلاً وتدقيقًا؛ إذ كان ذلك من باب المؤانسة! وهى التوسعات التى تمت من بعد على يد خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز.

وغادرت المدينة المنورة مع نهاية العام الدراسى، على أمل العودة فى عام قابل، ولكن ظروفًا حالت بينى وبين ذلك، مع حبى العظيم وشوقى الشديد إلى الجوار الكريم.

ومرت أعوام، حتى تسنى لى أن أحج لأول مرة عام ١٤١٢ — ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، وأنزل المدينة أولا.

وهنا كانت المفاجأة!

إننــى أعـرف المدينــة حـق المعرفـة، وكـم خطـوت علــى الأقـدام بـين شوارعها وضواحيها! لكنها اليوم غيرها بالأمس تمامًا!

وعنـد أول زيـارة للمسـجد النبـوى الشـريف — يـوم وصـولنا — دمعـت عيناى فرحًـا، ونطـق لسـانى شكرًا. دعوت الله تعـالى قـائلا :بـارك الله بكل همة ويد ساهمت فى هذا الإنجـاز العظـيم، وعوضـها خيـرًا، وجزاهـا أحسـن الجزاء وأوفره وأكرمه.

ماذ لقيت؟

أين ساحة باب المجيدى؟

إنهـا الشـوارع الفسـيحة، والعمـارات الحديثـة الشـاهقة، وظهـور الحـرم الشـريف مـن أركانــه الأربعـة، ومناراتــه المتعـددة، الضــاربة فــى أجـواز الفضـاء، وقد تلألأت فيها الأنـوار البـاهرة، وكثـرت الأبـواب. لقد كانـت مـن قبـل ثلاثـة عنـد سـاحة بـاب المجيـدى، يتـزاحم النـاس عنـد الـدخول وعنـد

الخروج، أما اليوم فقد زادت واتسعت، ورصعت أخشابها بزخارف النحاس اللامع ذى الأشكال المختلفة، والتى تلمع كأنها الذهب الإبريز؛ والتى يتدفق منها هواء التكييف البارد على بعد عدة أمتارٍ!

دلجْنا باسم الله، وعلى بركة الله..

الأعمدة والأساطين قد غلفت بقطع الرخام، لا يمكنك الفصل بين وحداتها، فكأن العمود قطعة واحدة، فى أعلاه المصابيح كأنها الثريات، يتوهج غلافها النحاسى، وعند قاعدته من زواياه الأربع نوافذ نحاسية تحمل الهواء البارد المنعش، إنها مئات الأعمدة!

وتتوزع (الزمزميات) بشكلها الحضارى الأنيق فى أنحاء المسجد، تسقى العطشى من ماء زمزم الزلال، لكل زمزمية أكوابها (البلاستيكية): غير المستعمل فى ناحية، والمستعمل فى ناحية أخرى، شربنا ثلاثا، وارتوينا ثم دعونا الله تعالى أن يثيب صاحب هذه الخصوصية من ماء

الكوثر، وتقدمنا إلى الداخل، بين صفوف المصلين، وسألت عن ساحتَىْ الحصوات، فأشار صاحبى الذى كان بجانبى — وهو أدرى منى — إلى السقف، فإذا مظلات ممدودة من قماش غليظ، مما تصنع منه الخيام، ثم قال: هذه المظلات تفتح بالكهرباء نهارًا للحماية من أشعة الشمس، أو للوقاية من المطر، وتغلق ليلاً، فإذا السماء فوقك مرصعة بالكواكب والنجوم ليس بينك وبينها حجاب، ثم أشار إلى ناحية أخرى، فإذا قباب من خشب مزين مزخرف، وقال لى: وهذه قباب تتحرك على عجلات، وبالكهرباء أيضًا!

ولقد رأيت فى يوم آخر حركة المظلات وحركة القباب مما يأخذ بالألباب، ويطلق اللسان بتمجيد الخالق عز وجل، الذى علم الإنسان ما لم يعلم، ومن ثم يثنى على الأيدى المباركة التى سخت، والهمم التى جاشت، والعقول التى نظمت، والسواعد التى عملت!

ودعانى صاحبى فى يوم آخر إلى الصلاة فوق السطح. كانت صلاة العشاء. فقلت فى دهشة: فوق السطح؟! فقال: أريد أن أريك شيئًا، هيا.

وتقدَّمنا نحو سلم كهربائى، ووضعنا أرجلنا على أوله، وسمَّينا الله تعالى، وارتقينا حتى بلغنا السطح، فإذا أروقته تسامى الأروقة التى فى الأسفل، قد فرشت بالسجاد الفاخر؛ وصلينا، ثم انصرفنا!

ولدى خروجنا همست فى أذن صاحبى طالبًا فيه أن يدلنى على أقرب حمام، فأمسك بيدى وقال: وأنا مثلك.

كانت الساحات — الحالية — خارج المسجد الشريف والتى تحيط به من كل ناحية، لم تنجز بعد، والتى هى الآن تلمع أرضيتها الرخامية كأنها البللور فى صفائها، تحت أنوار الأعمدة، ذات الأنوار الكاشفة.

اقتربنا من مدخل سلم كهربائى، ثم نزلنا دورين تحت الأرض، إلى حمامات ومياضئ، والله يشهد أنها فى نظافتها وروائها تضارع حمامات أفخم القصور، الحنفيات تعمل وفق الحاجة بالضغط، دون فتح أو إقفال.

وعند مداخل هذه الحمامات (يُفط) مكتوب عليها بأكثر من لغة، تدل على وجهة استعمالها؛ ونوع المستعمل، ذكرًا كان أو أنثى.

ومما يلفت النظر داخل الحرم الشريف تلك الخزن النحاسية التى ترص فيها المصاحف الشريفة، وتنتشر فى أنحاء المسجد، وجهاته المختلفة، وهى فى مجموعها طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بقياسات مختلفة، وحروف تناسب أى قارئ من أى بلد إسلامى!

وكذلك السجاد الفاخر، ذو اللون الواحد والرسم الواحد، ينظف ويجمع، ثم يبسط!

والمكـــانس الكهربائيـــة التـــى لا تكـــف عـــن العمـــل، وأدوات التنظيـــف للأرضية الرخامية، والأيدى العاملة التى لا تهدأ، فى المواسم وفى غير المواسم، لاحظت ذلك فى أثناء زياراتى التى لم تنقطع منذ عام ١٩٩٢م، وحتى اليوم، فى كل سنة عمرة، وفى كل سنة شد الرحال إلى الحرم المكى، والحرم النبوى الشريف.

وسألت عن مولدات الكهرباء، وآلات التكييف، أين مكانها؟ إنها لا شك ذات طاقات هائلة!

فقيل لى إن الدراسات الفنية أوجبت أن تكون المولدات والآلات على بعد أميال من الحرم الشريف، وتتصل بأنابيب ضخمة تحت الأرض إلى المنافذ داخل الحرم؛ إذ إن ارتجاجها العنيف قد يؤثر على قواعد المبانى.

وهناك أجهزة للإنذار عن الأخطار، مما تقتضيه دواعى السلامة، قد جهزت وركزت فى ملاجئ تحت أرض الحرم، وساحاته السفلية، وهى على تقنية عالية، وكفاءة فنية متقدمة.

أضف إلى ذلك مكتبات الحرم، والتى تحوى ثروة ضخمة من التراث، والمخطوطات النادرة أيضًا، ويتولى الإشراف عليها اختصاصيون وخبراء وعلماء.

وفى بداية صيف هذا العام (١٩٩٨م) كان من حظى وفضل الله على أن أعتمر أيضًا، وبعد أن قضيت نسكى شددت الرحال إلى المدينة، إلى المسجد النبوى الشريف، وخرجت من مكان إقامتى مع مضيفى فى سيارته إلى المسجد، وإذا به يدخل فى مرائب تحت الأرض، ثلاث طبقات، حيث تركنا السيارة فى المكان الآمن- والبلد كله آمن بفضل الله تعالى — وصعدنا بواسطة السلالم الكهربائية إلى سطح الساحات الشرقية الشمالية،

وهذه المرائب تتسع لآلاف السيارات، سيارات الركوب الصغيرة دون غيرها، فلا ترى فى الشوارع المؤدية إلى المسجد اختناق مرور، ولا تكدسًا على الجوانب، خصوصًا فى أيام الموسم!

وباكتمال العمل فى المرائب وتجهيزها تكون الأعمال فى الحرم النبوى الشريف قد تمت وبلغت الغاية. ولقد علمت أن جملة ما أنفق على التوسعة بكل مواصفاتها وضروراتها ومستلزماتها قد أربت على خمسة وأربعين مليار ريال سعودى.

والعبرة ليست فى القيمة المادية بقدر ما تهيأ لهذا العمل التاريخىوالإنجاز الحضارى من همم عالية ونفوس جياشة بحب الله تعالى ورسوله المصطفى ﷺ. وعلى رأسها — ولا شك — صاحب الجلالة، خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز.

ولقد أصبح المسجد النبوى الشريف يتسع لمليون مصلٍّ!

ومن الخرائط التوضيحية الحالية مقارنة بما كان عليه العهد فى أيام المسلمين الأولى فى المدينة المنورة يتبين لنا أن المدينة كلها تقريبًا قد دخلت فى حيز هذه التوسعة العظيمة.

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أشير بأن همة صاحب الجلالة — خادم الحرمين الشريفين — قد شملت كل المساجد والمصليات فى المدينة المنورة.

لقد صليت فى مسجد القبلتين أكثر من فريضة، وشرفت بهذا، ودهشت لما رأيت، بناء عال، وممرات، وحمامات ومياضئ، وفسحة واسعة فى المصلى، وتكييف، وفرش أنيق، ونظافة بالغة، وصيانة دائمة، فأيدى العاملين لا تكف ولا تهدأ.

وفى الخارج ساحات منظمة تستوعب عشرات السيارات، وأزاهير عطرة، وحدائق متناثرة.

إنه بيت الله تعالى ونحن عباده!

وكذلك مسجد قباء، إنه فسيح فسيح، فى أناقة وبهاء، وروعة بناء، بقبابه ومناراتــه، وســاحاته الخارجيــة، بمواقــف الســيارات، وانتظــام الحركــة، وحماماته ومياضئه، ونصاعة بياض جدرانه!

قدسية المكـان تحـرك المشـاعر، مـن غيـر طفـرة ولا ثـورة، بـل خشـوع وتأمل. وعَودٌ بالذاكرة إلى مئات السنين وعمق التاريخ، يوم خرجت المدينـة بقضها وقضيضها، بشيبها وشبابها، بشيوخها ونسائها وفتيانها تستقبل الوافد العظيم والمهاجر إلى الله تعالى، سيد الخلق وحبيب الحق، محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وتردد:

طلـــع البـــدر علينـــا	مـــن ثنيـــات الـــوداع
وجـــب الشـــكر علينـــا	مـــــا دعـــــا لله داع
أيهـــا المبعـــوث فينـــا	جئــت بـــالأمر المطـــاع

جئت شرفت المدينة مرحبًا يا خـير داع

ومن ثم فلا بد للسانك أن يتجاوب مع مشاعرك ووفق خواطرك، فتلهج بالنشيد!

وفى الختام نرفع أكف الضَّراعة للمولى - عز وجل - أن يحفظ الأرض المقدسة من كل سوء، ويحمى حماها، ما بين مكة والمدينة وشبه الجزيرة كلها وديار العروبة والإسلام قاطبة، ويطهر الأقصى من كل دنس ورجس؛ إنه نعم المولى، ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المراجع

المرجع	المؤلف
١ ــ أخبار مدينة الرسول	محمد محمود بن النجار
٢ ــ الأعلام	خير الدين الزركلى
٣ ــ البداية والنهاية	ابن كثير
٤ ــ تاريخ المدينة المنورة	عمر بن شبة النميرى البصرى
٥ ــ التحفة اللطيفة	شمس الدين السخاوى
٦ ــ خلاصة الوفا	السمهودى
٧ - رحلة ابن جبير	محمد بن جبير
٨ ــ السيرة النبوية	ابن هشام
٩ ــ الضوء اللامع	السخاوى

١٠ – كتاب المناسك	حمد الجاسر
١١ - مرآة الحرمين	إبراهيم رفعت
١٢ – نزهة الناظرين	البرزنجى
١٣ – الوفا بأحوال المصطفى	السمهودى
١٤ – تاريخ المسجد النبوى الشريف	محمد إلياس عبد الغنى

فهرس